

نادر أحمـط الشـريف العـبـير

أحمد الجابري

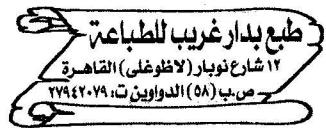


الرـهـور بـسـمت بـيـنا

الزهور بسمة لنا

نادر أحمد الشريف الحبيب

أحمد الجابري



الزهور بسمة لنا

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بروفيسور علي محمد شمو

ما يعرفه مستمعو وعشاق الأغنية السودانية عن الفنان الراحل أحمد الجابري لا يساوي القيمة الحقيقة لذلك الفنان المبدع الذي طبع على التواضع والاعتزال والبعد عن الأضواء التي يعيشها عادة مع أضرابه وزملائه من الفنانين فهو فنان رقيق مطبوع اختط لنفسه حياة نذر جلها لأمه التي ربته صغيراً وحرصت على إسعاده كثيراً وما تبقى له من الوقت نذر لعوده الذي قل أن يفارقه فهو الأليف والصاحب الذي حين يهم بالدندنة والغناء يشكل معه ثنائية جميلة هي في النهاية اللحن الذي تتصدح به الحنجرة الذهبية التي يمتلكها ذلك الرائع العظيم أحمد الجابري ..

عرفته منذ الخمسينات حينما أطل علينا شاباً في الإذاعة وكان هاوياً لم يبلغ حينها ما بلغ من شأو سامق فيما بعد .. يدخل علينا حاملاً عوده وفي جيب القميص الريشة وكأنه يؤكّد لك استعداده الدائم للأداء .. صوته جميل وأداوه أجمل وحين يصدح لا يحس بمن حوله - وكلما تقدم في الغناء زاد حلاوة وقوّة وعلوأ حتى نشعر بأن المكان كله يغنى حتى الحيطان التي ترجع الصدى ..

لا زلتُ أذكر ذلك الأسبوع الذي قضاه معنا في الجنينة عام ١٩٥٩م لإحياء ليالي زوجي - كان بمفرده ولم تصحبه أوركسترا ولا حتى آلة إيقاع .. كان هو والعود فقط ومع ذلك فقد أحيا عدداً من الليالي شهدتها جمهور غفير ضاقت بهم الساحات فأطربتهم الجابري الذي كان سعيداً بكل هذه الجموع تستمع إليه بوضوح تام الأمر الذي يؤكّد ما يتمتع به الجابري من حنجرة قوية تمتد إلى مسافات بعيدة.

أحمد الجابري من الفنانين الذي تعاملوا مع الإذاعة بالإنضباط الذي تقتضيه تعاليم الإذاعة وبالالتزام المهني الذي تتطلبـه حرفـة الموسيقى والغناء وامتـاز

بحسن الاختيار للأغاني التي قدمها للمستمعين ولعل صلته الوثيقة بالمرحوم الشاعر عبد الرحمن الريح ابن الحي وراعي المغنّيين الشباب قد أضافت إليه بعداً عميقاً في مسيرته الأولى .. فبعد الرحمن فوق أنه شاعر مجيد فهو ملحن بارع وناقد موزون ويهتم بالبراعم والناشئين من المغنّيين كاهماته بعمر أحمد وإبراهيم عوض وأخيراً بأحمد الجابري ..

لاحظت أن الجابري يمتاز بالأدب الجم والسلوك الرفيع والقناعة بما تيسر له من رزق فهو لا يشبه الآخرين في الضجر والشكایة وكثرة السؤال يرضى بما يجد مهما كان قليلاً ودون الكفاية .. فهو لا يشكو لأحد لأن أغانيه لا تثبت ولا ترددتها الإذاعة ولا لأن فرَصه ودون التسجيل محدودة وتقل عن الآخرين ولا يتبرم من شح العائد المادي من الإذاعة والتلفزيون - فهو متوكل ومتيقن بحيث لا يعرف من يتعامل معه إن كان في ضائقة أو حاجة إلى مال أو مساعدة أو ما يعنيه على نكفة العيش له ولأمه ومن يدورون في فلكيهما من الأسرة الكريمة ..

أن العارف بقدر وعظمة الفنان الراحل أحمد الجابري وقيمه الفنية والإبداعية طوال النصف الثاني من القرن الماضي ليقدر هذا الجهد الرأقي الذي قام به الأستاذ نادر أحمد الشريف في إصدار كتاب يكون محوره ذلك الفنان الذي لا يعرف الكثير من مستمعي الإذاعة ومشاهدي التلفزيون عنه إلا ما يسمعون أو يشاهدون في التلفزيون فالرغم من أنه في واقع الأمر هو أكبر وأقيم من ذلك بكثير وأنني لعلى ثقة من أن من يقرأ هذا السفر الذي كتبه الأخ نادر سبزداد إعجاباً واحتراماً لذلك الإنسان العظيم الذي نعرفه باسم أحمد الجابري ..

عزيزي القارئ أنتي لواثق من إنك عندما تتصفح هذا السفر ستدرك معنى الكلمات التي كتبتها في هذه المقدمة وستعرف عن أحمد الجابري الكثير مما خفي وما لم يتيسر لك معرفته عنه من خلال الإذاعة ..

المقدمة

يسريني أن أقدم الإصدارة الثالثة من سلسلة التوثيق لفن الغنائي السوداني في فترة ما يسمى "برواد الأغنية السودانية الحديثة" وما بعدها. يعتبر الفنان أحمد الجابري امتداداً لمدرسة الرواد التي بدأها الفنانون الكبار حسن عطية وأحمد المصطفى وحسن سليمان وعثمان الشفيع وعبد العزيز محمد داؤود وغيرهم.

كان قد اتصل بي نفرٌ كريمٌ من الأصدقاء طالبين مني التوثيق للفنان الكبير أحمد الجابري وكانت مناسبة أعادتني إلى ذكريات قديمة كان قد قابلت فيها الفنان الجابري واستمعت إليه وتحدثت معه وكان أهمها في مناسبة وكان معنا صديقاً الشاعر أبو آمنة حامد.

أحمد الجابري فنان عظيم جدير بالتوثيق له والإشادة به، لقد قدم لنا روائع من الأغاني التي لا تزال تحافظ على نضارتها ورونقها. الحقيقة ليست لي معلومات كثيرة عن هذا الفنان ولكنني حاولت بقدر الإمكان الحصول على قدر من المعلومات والنصوص الغنائية وعن مسيرته الفنية وما أكتفتها من مفاجآت.

كان قد ذكرت في مؤلفاتي السابقة أنه من أصعب أنواع الكتابة تلك التي تشمل التوثيق لشخصيات قد قضت نحبها وهذا بالذات يجرى على التوثيق للمطربين السودانيين لأنهم يتركون هذه الحياة بدون مخلفات ومستندات تذكر. فاعتمادنا كان أكثر على حديث الأصدقاء والأقرباء والتسجيلات المسموعة في الإذاعة.

نجد دائماً مشقة شديدة في تمحيص الحقائق نسبةً لتضارب الروايات من المصادر الإنسانية.

بعض الأصدقاء كان قد طلبوا مني كتابة توثيق لبعض الفنانين ولكن مع الأسف لا يوجد أي شيء نعتمد عليه في توثيق حياتهم، وتوجد في الساحة بعض الكتب والمؤلفات عن كثير من هؤلاء الفنانين ولكن مع الأسف توجد أخطاء فادحة في تحقيق المعلومات وخاصةً في إثبات ملكية النصوص الشعرية التي

تغنو بها ولذلك أتحفظ كثيراً في الخوض في مثل هذه المتأهات، بعض الفنانين وثقوا لأنفسهم في كتب مثل الفنان حسن عطية. كان قد طلب مني كتابة توثيق جديد للفنان حسن عطية ولكنني اعتذرت بحجة إني لا أريد التكرار أو التنافس في هذا المجال برغم وجود ثغرات واضحة في التوثيق الأول بعض الأشياء قد نسي الكاتب تغطيتها. أود أن أعكس تجربتي في الكتابة والتوثيق للحركة الفنية السودانية التي علمتني أن أتحمل أخطاء الآخرين، ومنهم من يراجع النص أو حتى الأخطاء المطبعية التي قد تأتي سهواً عليه يجب أن تكون واسع الصدر وأنتحمل الانتقادات وأحاول أن أفتح المؤلفات لتصحيح الأخطاء. الاستفادة الإيجابية من النقد نجدها تمنح المؤلف فرصة التصحيف وتفادى الأخطاء. بعض الأصدقاء حمل على التأخر في إصدار هذا الكتاب وأنا أنساب هذا للظروف الحياتية التي تحيط بنا في السودان فقلما تجد الوقت الكافي الذي قد تجلس فيه للكتابة بدون انقطاع ودون سبب اجتماعي يستدعي خروجك والانقطاع عن الكتابة. توفر الزمن صعب مع المجاملات الاجتماعية التي قد تفقد الكاتب كثيراً من التركيز خاصة إن البعد عن الموضوع الأساسي لكتاب قد يطمس بعض المعلومات. وكل كتاب ناجح رهين بما يتاح له من الوقت. في كتابتي التوثيقية للفنانين السودانيين أنا أهتم بالجانب الفني الإبداعي وليس لي اهتمام ولا يعنيني كثيراً من المسائل الشخصية التي تهم وتحصل هذا الفنان. فنحن أهل التوثيق نهتم بما قدمه الفنان من أعمال جيدة وخالدة.

أرجو أن أشكر أولاً أستاذي الكبير محمد الواثق الذي قام بمراجعة نص الكتاب وتصحيحه وهو لاشك قامة من قامات اللغة العربية ومن الأساتذة الأجلاء الذين تعلمت علي يدهم فنون اللغة العربية. وكذلك شكري للفنان التشكيلي وصديقي الطيب البشير محمد الخير الذي قام بتصميم الغلاف. وشكري أيضاً للأخ محمود عز الدين الذي قام بكتابة النص على الكمبيوتر وللشاعر الكبير بشير محسن على تشجيعه وعلى معاونته الإيجابية في إصدار هذا الكتاب. وكما أشكر الأخ كامل حسن متولي على المعلومات الثرة التي أفادنا بها وكذلك الشكر للأخ عبد الحميد كراراوي قريب الفنان أحمد الجابري على المعلومات القيمة كما أشكر كل الشعراء الذين كتبوا للفنان أحمد الجابري والذين تعاقبوا معه تعاوناً صادقاً.

وكان الوعد موجوداً لمشاركة بعض الكتاب والأدباء والشعراء بمقالات لهذا الكتاب ولكنني أجد لهم العذر في مشغولياتهم الكثيرة والتي لم تتح لهم الوقت الكافي للكتابة والمساهمة. من الملاحظات التي قابلتني وأنا أكتب هذا الكتاب أن للفنان أحمد الجابري جمهوراً كبيراً وقابلت عدد ليس باليسير وهم يثنون مقدماً على كتابة هذا الموثق عنه.

سألني أحد الأصدقاء وهو من لهم علاقة بالوسط الفني عن ماذا استفيد من هذه الإصدارات التي أنفق عليها من مالي ووقتي الخاص، وهذا أنا أجيبه بأن هذا العمل الذي أقوم به هو عمل من صميم هوايتي ولا أجيء منه مالاً ولا أرباحاً وإنما قدرًا يسيراً من المال قد يغطي جزء من النفقات وأن المجهود الذي أقوم به في جمع المعلومات والكتابة لا يقدر بثمن وأن كتبى من أرخص الكتب في المكتبات حيث أن كثيراً من المؤلفات السودانية تجدها غالياً السعر بل أضعاف ما أطلبه لكتبى . وهنا تبقى المسألة هي الهواية فقط.

كذلك سألني آخر لماذا لا أظهر في وسائل الإعلام من إذاعة وتليفزيون خاصةً أن بعض المتحدثين الذين ظهروا كانوا يستعينون بما كتب؟ وردت عليه بأنني لم أكتب هذه الكتب بقصد الشهرة ولا حباً في الظهور وإنما لإشباع رغبتي أولاً وأضافة معلومات للقارئ السوداني الكريم وللذين أيضاً يدرسون في هذا المجال بمدهم بالمعلومات المساعدة.

كان صديقي العميد (م) عبد الرحمن حسن عبد الحفيظ سوار الذهب ملازماً ومشجعاً لي طوال الوقت، وهو رجل له باع طويل في الكتابة ورجل يحب الثقافة والأدب. أما الصديق الشاعر بشير محسن فهو ذاكرة الفن السوداني الحديث وأظنه هو آخر شاعر من الرعيل الأول لشعراء الأغنية السودانية الحديثة أمد الله أيامه ومده بالصحة والعافية فقد كان مرجعاً لي في كثير من المعلومات.

أخيراً شكرى الكبير للاستاذ الكبير البروفيسور علي شمو لتقديمه هذا الكتاب وكذلك الشكر للدكتور محمد عبدالله الريح على مقاله الجميل وأيضاً الشكر للاستاذ ذو النون بشرى على مقاله و ايضاً الشكر لصديقى عبد الرحمن حسن عبد الحفيظ على مقاله.

* * *

نشأة الفنان أحمد الجابري

ولد الفنان أحمد محمد عبد الله كرمنو المعروف باسم أحمد الجابري في عام ١٩٣٤م بقرية الشرفة إحدى ضواحي مدينة ودمدني عاصمة الجزيرة. والده هو الفقيه محمد عبد الله كرمنو أتى من القضارف وتزوج فاطمة بنت الجابري التي أنجبت الفنان أحمد الجابري. والده عاد إلى القضارف حيث تزوج ثانيةً وأنجب ثلاثة إخوة لأحمد الجابري هم (فاروق وحيدر وسعاد وأخلاص). انتقلت والدته به إلى مدينة أم درمان حيث يعيش أهلها هناك في حي العرب وهم آل الجابري وآل كراراوي أبناء خالته ومن ثم تم إطلاق اسم أحمد الجابري تيمناً بجده لأمه.

درس في الخلوة في الشرفة وكان من أفراد فريق المديح النبوى لأن صوته كان جميلاً ثم أكمل دراسته في خلوة جده الجابري بأم درمان.

بعد أن أكمل تعليمه الأولى بدأ حياته بالمديح النبوى في المناسبات الدينية. وفي بداية حياته العملية اشتغل بالأعمال الحرة حيث أخذه أخوه لأمه مهدي إلى تعلم خراطة السبح والأناتيك من سن الفيل والأبنوس تعلم هذه الصنعة من قريبه عوض كراراوي وعمل بعدها في دكان الزين رفاي المشهور بأم درمان. لقد حدثي صديقي الشاعر بشير محسن الذي كان يعمل بالقرب من هذا الدكان وفي البنك العثماني بالتحديد في أم درمان وقال لي أنه في أثناء مروره إلى عمله في البنك كان يشاهد أحمد الجابري وهو يعمل مع العمال في ذلك الدكان، عندما كان الجابري في بداية حياته الفنية.

شكلت أم درمان شخصية الفنان أحمد الجابري خاصةً في س肯ه في حي العرب الحي الذي كان يتعج بالفنانين والشعراء ولاعبي كرة القدم في الهلال والمريخ أكبر الفرق الرياضية. في هذا الحي تعلم أحمد الجابري أسس الثقافة السودانية الأصيلة فيما يتعلق بالتعامل الإنساني والذي اشتهر به أحمد الجابري فيما بعد حيث عُرف بأنه رجل شهم حساس وظريف وابن بلد أصيل. كان حي العرب يتعج بالشعراء منذ زمن حقيقة الفن إلى عهد الشاعر العظيم عبد الرحمن

الريح، الشاعر الذي عاصر زمن الحقيقة وزمن رواد الأغنية السودانية الحديثة. وكان لوجود هذا الكم الهائل من الشعراء والفنانين أثر كبير على هذا الفتى أحمد الجابري الذي شب على ملكة حسن الصوت وإمكانية تقليد كل الأغاني وخاصة الأغاني المصرية. فكان يعيش في هذا الحي الشاعر سيد عبد العزيز وعبد عبد الرحمن والمطرب ميرغني المأمون والمطرب أحمد حسن جمعة والشاعر علي محمود التقاري والشاعر الملحن الطاهر إبراهيم والشاعر مصطفى عبد الرحيم ومن الفنانين إبراهيم عوض.

كان اهتمام أحمد الجابري في البداية بالأغاني المصرية فقد كان معجباً بإعجاباً شديداً بالفنان فريد الأطرش والفنانة شادية وأم كلثوم وكذلك الفنان اللبناني وديع الصافي. كان أحمد الجابري من الرواد الدائمين يومياً على السينما وخاصة إذا كان العرض لأحد الأفلام المصرية الغنائية لإعجابه الشديد بالغناء المصري. كان في أم درمان داران للسينما في ذلك الزمان، سينما براميل والسينما الوطنية وتقعان في وسط أم درمان بالقرب من المحطة الوسطى والمcafahies المتعددة فكان يشاهد يومياً وهو يطوف بذلك الدور ليشاهد الأفلام المصرية كأمثال فيلم "غزل البنات" الفيلم الغنائي المشهور في ذلك الزمان.

السينما المصرية كان لها أثر كبير على الفن الغنائي السوداني فقد كانت السينما هي دار الترفيه الوحيدة في السودان وكانت الأفلام المصرية أقرب الأفلام إلى الذوق السوداني ولذا نجد كل الفنانين المعاصرین بين عهد سنوات الأربعينات والخمسينات يلبسون الزي الأفرينجي مثل المطربين المصريين ويعزفون آلة العود بنفس الطريقة التي يعزف بها الفنانون المصريون. لم يكن في فترة الخمسينيات مسارح معروفة وإنما كانت دور السينما تلعب دور المسرح في تقديم أغاني المطربين، فقد قدم الفنانون الأوائل أغانيهم على خشبة مسارح السينمات في أم درمان في حفلات حضرها جمهور كبير وتتأثر بها الفنانون الهواة من أمثال الفنان أحمد الجابري آنذاك. أحمد الجابري أعجب في بدايته بأغاني الفنان رمضان حسن الذي كان يغني أغنيات الشاعر عبد الرحمن الريح. كانت أغنية "افتتان" رائعة الفنان رمضان حسن من أولى الأغاني التي تأثر بها الجابري ورددتها على أصدقائه في الحي.

كذلك كان قد بدأ في ترديد أغنيات الفنان أحمد المصطفى التي كانت في أوج مجدها. كان من أصدقاء أحمد الجابري ابن اخت الشاعر عبد الرحمن الريح وعندما سمع أغنية "افتتان" بترديد أحمد الجابري أعجبته كثيراً ونقل الحديث إلى خاله الشاعر عبد الرحمن الريح الذي طلب أن يسمع أحمد الجابري في هذه الأغنية التي هي من كلماته وتلحينه وكان يجلس مع عبد الرحمن الريح في عمله في ورشة الجلود الفنان رمضان حسن فاستمعوا إلى أغنية "افتتان" من أحمد الجابري وقد أعجبوا أيضاً إعجاب بهذا الأداء ومن حينها فكر الشاعر عبد الرحمن الريح أن يقدم أغنيات لهذا الشاب الموهوب حتى يستطيع أن يغني في الإذاعة التي كانت هي المجال الوحيد لشهرة الفنان.

نشأة الفنان أحمد الجابري كانت نشأة بسيطة مثل كل الشبان في زمانه ولكنه هو الشاب الوحيد في الحي الذي عاش بدون والده وكان كل ما لديه في هذه الدنيا والدته فاطمة بنت الجابري والتي تأثر بها تأثراً شديداً في كل حركاته وهي المرأة البطلة بنت أهل الصلاح وقد عُرفت بالتفوي والصلاح. علاقته مع أبناء الحي كانت علاقة حميمة لم يعرف عنه أي عداء فقد كان مسالماً مع الجميع. كان له أخوان من أمه أكبر منه (عبد الرحمن ومهدى) ولكنه عاش مع أبناء حالاته أكثر لقرب السن: واتخذهم أخواناً له وأشهرهم أبناء كراراوي (اشتهروا بهذا الاسم لسكنهم في شارع كراري).

كانت علاقته مع زملائه في مجال العمل جيدة جداً وكان محبوباً وسط زملائه ومعظمهم يسكنون مع في نفس الحي، وفي المساء يجتمعون سوياً ليتسامروا تحت عمود الكهرباء وهي عادة من عادات أم درمان أيام زمان. كذلك كانت له علاقات مع أبناء الأحياء الأخرى في حي ود أرو وبيت المال والمظاهر وأبو روف وغيرها من أحياء أم درمان.

زمن الجابري

هي الفترة التي بدأ الجابري فيها الغناء، وهي نهاية الخمسينات وبداية السبعينات. وكانت هذه الفترة تعد من الفترات الزاهية في الغناء السوداني ونقطة تحول كبير في الساحة الفنية الغنائية. ففي هذه الفترة بدأت الإذاعة بث برامجها من دارها الجديدة (المكان الحالي) بحي الملازمين بأم درمان بعد أن كانت في المكان القديم بالقرب من مدرسة الديايات وفي استوديوهات غير مصممة لذلك الغرض وكان يمكن أن تسمع شقشقة العصافير أثناء البث الإذاعي وأما الآن فنجد استوديوهات مصممه تصميمًا علميًا حديثًا وكذلك التسجيل العلمي النظيف. كان وزير الاستعلامات والعمل هو اللواء محمد طلعت فريد الذي كان وراء هذه النهضة التي بدأت بمبني الإذاعة والتلفزيون الحالي وكذلك المسرح القومي الذي كانت تقام عليه حفلات غنائية مستمرة وكذلك قدمت فيه كثير من الأصوات الجديدة من الأقاليم مثلاً لذلك الفنان الطيب عبدالله والفنانة أم بلينة السنوسي وغيرهم من فناني الأقاليم الذين وجدوا البيئة مهيأة لهم لتقديم فنونهم.

اهتمت السلطات الرسمية بالمبدعين ورعت الفن الغنائي واهتمت به أكثر من ذي قبل. كان ذلك العصر عصر ما أسميه بعصر رواد الأغنية السودانية الحديثة التي نشأت مع افتتاح الإذاعة السودانية في عام ١٩٤٠م والفرق بينها وبين المدرسة السابقة (مدرسة حقيقة الفن) هو استعمال الآلات الموسيقية أي الغناء بأوركسترا من آلة عود وكمان وتشيلو وبيكلو وإيقاع. فكانت الساحة الفنية الغنائية يتزعمها الفنانون الكبار أمثال الكاشف وعبد الحميد يوسف وعبد العزيز محمد داود وأحمد المصطفى وحسن عطية وعثمان الشفيع وعثمان حسين وهؤلاء هم الذين أسسوا مدرسة الغناء السوداني الحديث. كان الغناء في عهد الرواد هو أن تأتي بالجديد في اللحن والأداء زائداً النص الشعري الجيد. فقد كانت النصوص الشعرية جميلة من حيث الموضوع وجودة السبك وكان اللحن والأداء قمة في التجويد وكان كل فنان يسعى إلى الأحسن. في زمن حقيقة الفن كان النص

الشعري يحكم الفنان أي جودة القصيدة هي العنصر الحاسم في نجاح الأغنية لأن الألحان كانت بدائية والأداء كان تقريباً ثابت النمط. كان كتاب النص الشعري يسعون إلى ما يتجلّب الجمهور معه فشهدت تلك الفترة انتقالاً إلى الرومانسية في موضوع القصيدة. الفنان أحمد الجابري وجد مدرسة غنائية مؤسسة وكل الإمكانيات متاحة له لكي يقدم إبداعه.

وكما ذكرنا سابقاً أن من حسن حظ الجابري أنه عاش في بيئة مشبعة بالفن والإبداع في ذلك الحي الشهير (حي العرب). ارتبطت ملكة الجابري الفنية بهذا المحيط من المبدعين مما أتاح له أن يبدأ مشواره الفني بخطى ثابتة إلى أن تقدم للإذاعة كفنان وحصل على درجة ترتيبية كما كان الحال وذلك في عام ١٩٥٩م.

كانت الحياة الاقتصادية والاجتماعية بسيطة ولم يكن في ذلك الزمن طموح إلى حياة أفضل مما وجدوا أمّا ولذا لم تكن الحياة المادية كما في عصرنا الحالي ولذا كان دخل الفنان بسيطاً ولكنّه يعيش هادئاً راضياً بما يكسب سواء من عمله الراتب أو من دخل بسيط من الحفلات التي يحييها في المناسبات الاجتماعية المختلفة.

كان الرواد الأوائل دائماً ما يتبرعون بدخلهم في الحفلات الخيرية التي كانت تقام لدعم المشروعات الخيرية؛ كدعم لمرأكز الأيتام أو الهلال الأحمر السوداني لمكافحة كثير من الأمراض الاجتماعية آنذاك ودور العلم ونقابات العمال.

كانت الفترة من عام ١٩٥٨م إلى ١٩٦٤م وهي فترة الحكم العسكري الأول برئاسة الفريق إبراهيم عبود من الفترات التي اتسمت بنهضة فنية عالية أسهمت فيها الدولة والإعلام عاملاً رسمياً وشعبياً بمجهود كبير فقد سخر اللواء طلعت فريد كل إمكانيات وزارته آنذاك ومعه وكيل وزارة محمد عامر بشير فوراوي لإحداث نقلة ثقافية كبيرة شملت الفن الغنائي السوداني والمسرح والصحافة والإعلام. وهم الذين أرسلوا الوفود الفنية لتطوّف الأقاليم المختلفة خاصةً جنوب السودان الذي كان يرزح تحت نيران الحرب الأهلية وكذلك سافرت فرق فنية إلى خارج السودان لترفعه على الجاليات السودانية هناك. استقاد المطربون السودانيون كثيراً من الناحية الإعلامية فقد كان الفنان الجابري أحد الذين ظهروا في الإعلام

دون انقطاع وغنووا في المسارح والتلفزيون الذي كان قد ظهر حديثاً وكان يبث البرامج على الهواء قبل إدخال أجهزة التسجيل.

كان لهذا الوسط الفني إسهاماً ظاهراً في حياة الجابری الفنية فقد كان تكرار بث الأغاني في وسائل الإعلام المختلفة من إذاعة إلى تلفزيون إلى حفلات في المسارح المختلفة قد ساعد كثيراً في انتشار الأغنية في ذلك العصر. وفي تلك الفترة أيضاً ظهر مسجل الصوت على الشريط المغناطيسي الذي أحدث ثورة كبيرة في الاحتفاظ بالأغنية السودانية وتكرار سماعها بل الذهاب بهذه المسجلات إلى أقصى الأماكن في السودان أو في العالم. وبدأ المواطن السوداني في افتقاء هذه المسجلات المغناطيسية وتسجيل الأغاني الأثيرة لديه خاصة عندما ظهر مسجل الكاسيت ورخص ثمنه. هذا دفع بالفن السوداني إلى مراتب بعيدة جداً وساعد في انتشار الأغنية السودانية انتشاراً واسعاً في معظم البلاد.

أحمد الجابری استفاد من كل هذه الإمكانيات في إظهار فنه للجمهور ولكن أيضاً يجب أن نذكر أن التنافس كان كبيراً بين الفنانين في الآتيان بالجيد. كانت المنافسة شديدة ولكن أهل الفن كانوا أصدقاء فكان الرعيل الأول من الفنانين يقدم النصح المفيد إلى الناشئين. أحمد الجابری لم يتتأثر بأي فنان سوداني فقد كان له نمطه الخاص رغم أنه قلد الفنانين الكبار ولكن بنمطه الخاص أيضاً. وكان في ذلك الزمن تقليد أغاني الفنانين شيئاً عادياً فعندما يعجب مطرب بأغنية زميله يشرع في ترديدها ولا يجد معارضة في ذلك من صاحب الأغنية أو أجهزة البث الإعلامي. لم تكن توجد هيئة مصنفات فنية أو ملكية فردية ولا كان أحد الفنانين يطبع في جني مكافآت مادية من وراء التقليد أو الغناء عموماً. مثلاً الفنان الراحل المقيم عثمان حسين كان لا يهتم لأي شخص يقلد غناءه وكان له ثقة عالية في نفسه وأن لا أحد يستطيع أن يؤدي أغانياته مثله. والحقيقة أن المكافآت المادية كانت قليلة في ذلك الزمان وخاصةً في ميدان الفن الغنائي.

* * *

بداية المشوار الفني

عرف الفنان أحمد الجابري كفنان ناشئ عندما غنى في ركن الأصوات الجديدة في عام ١٩٥٧م والذي كان يقدمه الإذاعي المشهور أحمد الزبير في ذلك الوقت في الإذاعة السودانية والذي اشتهر أيضاً بتقديم الأصوات الجديدة من الفنانين أمثال شرحبيل أحمد وصلاح مصطفى والطيب عبدالله وغيرهم. قدم أحمد الجابري في ذلك البرنامج أغنيته الأولى "في شاطئ الغرام" من كلمات الشاعر عزمي عبد القادر الذي كان يقدم قصائده إلى بعض فناني المرحلة ولكنه شاعر غير مشهور. كان أداءً أحمد الجابري لهذه الأغنية أداءً رائعًا أظهر إمكانياته الكبيرة وصوته المليء بالتطور وأنه مطرب ينتظره مستقبل كبير، كان نص القصيدة بسيطاً ويجاري به معظم شعراء الفترة، وإليك النص:

في شاطئ الغرام

فـي شـاطـئـ الـغـرـامـ	ـكـانـ تـلـيـالـيـنـ
فـي شـاطـئـ الـغـرـامـ	ـنـحـيـ لـيـالـيـنـ
عـلـىـ ضـفـافـ النـيـلـ	ـيـحـلـوـ الـسـمـرـ لـيـنـاـ
وـالـطـيـرـ وـرـتـفـ رـحـ	ـبـتـلـاقـيـنـ

فـي شـاطـئـ الـغـرـامـ	ـيـحـلـوـ الـسـمـرـ لـيـنـاـ
وـالـزـهـرـ وـرـتـخـ وـ	ـفـيـ اـشـتـيـاقـ لـيـنـاـ
وـالـطـيـرـ وـرـتـفـ رـحـ	ـبـتـلـاقـيـنـ

فـي شـاطـئـ الـغـرـامـ	ـنـسـيـ مـآـسـ بـنـاـ
وـنـدـ ضـرـ الـقـيـثـارـ	ـنـعـزـفـ أـغـانـيـنـ
يـتـجـهـ رـوـالـعـ شـاقـ	ـسـأـمـعـنـ لـيـنـ

وي رددوا الألحان بين بین معجب

تطا	منا الطيور تسمع
تكون حوالين	وتترك الأغصان
تكاد تناذين	والأغصان تميد كل
لتهانين	والزهـر يـرـيـت ساقـطـ

هذا النص الرومانسي البسيط كان قد أحدث نقلة في الغناء السوداني بظهور فنان كأحمد الجابري يمتلك ملكات صوتية متعددة الطبقات وهذه الأغنية بالذات أظهرت هذا التنوّع في طبقات الصوت والأداء ونلاحظ ذلك خاصةً في المقطع الأخير من الأغنية حيث نجد أن الجابري يردد بلونية مختلفة من المقاطع الأولى للأغنية كأنه يريد أن يطلع المستمع على ثلوّن صوته.

كان من الذين عاصروا هذه الأغنية ومسيرة الفنان الجابري الفنان شربيل أحمد قبل أن يصبح مغنياً لأغاني الجاز السوداني، فكان قد بدأ الغناء على الطريقة التقليدية بعزف العود. فقال في حديث تلفزيوني أنه هو والجابري كانوا قد خضعوا التجربة صعبة امتدت لعام كامل كانوا يغيّران ويعدّلان في أسلوب أدائهم حسب ما وجهتها به لجنة النصوص في الإذاعة والتي كانت برئاسة المرحوم متولي عيد وعضوية محمد صالح فهمي، وهم عمالقة الإدارة الفنية الغنائية.

فبأغنية شاطئ الغرام دخل صوت الفنان أحمد الجابري للإذاعة وبدأ مشواره الفني والتحضير لإجازة صوته كمطرب له درجة يجاز عليها كما يحدث دائمًا.

والجابري هنا يحكى عن نفسه: "كانت بداية معرفتي بالفن وحبي له وعشقي الشديد منذ الطفولة حيث كنت أُوفر من مصروفي لأنّمك من دخول السينما وكانت أفضل الأفلام الغنائية لليلي مراد وأسمهان ومحمد فوزي وفريد الأطرش وأم كلثوم. أحببت الغناء جداً وخاصةً لهؤلاء الفنانين المصريين الذين ذكرتهم لأنّ غناءهم كان جميلاً ورائعاً ويأسري جداً. وفي تلك الفترة لم أكن أندوّق أي غناء سوداني إلى أن استمعت إلى أغنية "افتتان" - الزهور صاحبة

وإنت نايم - من الفنان رمضان حسن وأعجبت بها جداً وصرت أرددتها مع الأغاني المصرية التي كنت أحفظها".

كان أحمد الجابري محبوباً من جيرانه ومن سكان أم درمان حيث كان يتمتع بعلاقات وصداقات واحترام من الجميع وهذا ما ساعد في مسيرته الفنية التي انطلقت بدايةً من حي العرب ومن منزل جاره الشاعر المرهف عبد الرحمن الريح والشاعر الآخرين أمثال سيف الدسوقي ومصطفى عبد الرحيم. وببداية مشواره الفني إذاً كان من حي العرب وبرقة الشعراء المذكورين، حيث تعلم عزف العود على يد ابن اخت عبد الرحمن الريح الذي كان صديقاً له واسمه علي إبراهيم والذي كان مطرباً في الخمسينات وببداية السبعينات وكانت له أغنية مشهورة اسمها "إشراقة البشاشة". لم استطع أن أحصل على أي معلومات تفيد عن كيفية لقاء أحمد الجابري بالشاعر عزمي عبد القادر شاعر أغنية "في شاطئ الغرام". ولكن المتنبعة لسيرة الفنان أحمد الجابري يجد أن بدايته الحقيقة قد كانت مع الشاعر عبد الرحمن الريح وأن أغنية "في شاطئ الغرام" كان قد ظهر بها في برنامج "الأصوات الجديدة" قبل أن يجاز صوته في الإذاعة حيث كان البرنامج القصد منه تقديم الهواة من الفنانين.

والجابري هو المطرب الذي لا ينافسه أحداً وهو لا ينافس أحد رغم أنه ردد أغانيات للمطربين السودانيين الآخرين كأحمد المصطفى ورمضان حسن وكان ناجحاً. أحمد الجابري اعتمد في بداية مشواره الفني على الملحنين كعبد الرحمن الريح وأحمد زاهر (والحقيقة أن أحمد زاهر كان زميلاً عندما تقدم لإجازة صوته بالإذاعة ولكن أحمد زاهر قد فشل أن يكون فناناً فأصبح ملحنًا). وأيضاً تعامل مع ألحان برعى محمد دفع الله وفي نهاية مشواره الفني بدأ يلحّن لنفسه. كان لعبد الرحمن الريح القدر المعلى في رسم طريق واضح المعالم لمسيرة الجابري الفنية وأهم شيء أنه أبعده من التقليد المصري البحث إلى نمط سوداني مختلف. ولكن نلاحظ أن الجابري عندما عاد في آخر مشواره الفني ليلحّن لنفسه بدأ يعود إلى طريقة الأداء المصري إلى حد ما. لقد كانت مسيرة الفنان أحمد الجابري مليئة بالإشارة الفنية والتتنوع في الموسيقى والأداء فشكل لنفسه مدرسة فنية يستحق الوقوف عندها والدراسة والتأمل لما أحدثه من نقلة في عالم الفن الغنائي السوداني.

البداية وعبد الرحمن الريح

كما ذكرت سابقاً كان اللقاء بين الشاعر عبد الرحمن الريح والفنان أحمد الجابري عن طريق ابن أخت الشاعر الذي كان صديقاً للفنان الجابري وكان من جلسةِ الذين يستمعون إلى غناءه وتمت مواعيد اللقاء وكان ذلك في عام ١٩٥٦م. كان اللقاء طويلاً استمع فيه الشاعر عبد الرحمن الريح إلى أغاني مصرية وأغاني سودانية من تأليف الشاعر عبد الرحمن الريح وتلحينه وكما ذكرت سابقاً كانت أغنية "افتتان" من الأغاني الأثيرة عند الجمهور فأعجب الشاعر عبد الرحمن الريح بطبقات الصوت والأداء عند أحمد الجابري وقرر أن يمنحه بعض الأغاني.

عبد الرحمن الريح عمل ثلاثة أغانيات للجابري كبداية للقاء وكأساس لدخوله للإذاعة السودانية كمطرب له تسجيلات إذاعية. فكانت ثمرة هذا اللقاء في أغانيات "قلبي والحب" و"هجران" و"حبك ملك قلبي". هذه الأغانيات لاقت رواجاً كبيراً عند الجمهور لأن عبد الرحمن الريح استطاع أن يستخدم إمكانيات الصوت عند الجابري استخداماً سليماً. كان عازف الكمان والخبير الدولي "ماسترلي" والذي استجلبته الإذاعة السودانية ليشرف على تعليم العزف الصحيح لآلة الكمان كان هذا الرجل الإيطالي من أكثر الناس إعجاباً بصوت أحمد الجابري وحتى صرخ لبعض العازفين والفنين في الإذاعة بأن الفنان أحمد الجابري يمتلك صوتاً نادراً فيه طبقات عليا وطبقات سفلية قلما تجدها عند فنان واحد. بعض النقاد يظنوا بأن عبد الرحمن الريح لم يلحن هذه الأعمال وإنما وضع لها إطار من اللحن استكمله الجابري بوضع اللمسات النهائية ولكنني لا أميل لهذا الرأي لأسباب منها إن أعمال عبد الرحمن الريح كانت معروفة وظاهرة مع كل الفنانين الذين تعاملوا معه كمثال حسن عطيه وإبراهيم عوض والتاج مصطفى. وثانياً إن عبد الرحمن الريح يبني القصيدة متاثراً باللحن ولذا نجد أن عمله عملاً متكاملاً ولا يوجد فنان تعامل معه إلا وأعطاه القصيدة واللحن معاً بل فقد لحن قصائد لغيره من الشعراء.

والآن يمكننا أن نقدم النص الأول الذي قدمه الفنان أحمد الجابري للإذاعة السودانية وهو من كلمات وتلحين الشاعر عبد الرحمن الريح:

قلبي والحب

إيه ذنبي الجنية
ونسوا عهدي الرعية

مظلوم في حبي مالي
حبيت لكن نسوني

مامكن يزول
وانتك رعن زول
ونراء الأصلول

الحب في قلبي خالد
مهما تجلى واشى
ترعى الحب قلوبنا

ياريت الناس دوام
أسرار الغرام
الأحباب بالابتسام

الحب معنى سامي
تعرف كيف تقدرس
ونقابل دلال

وأدرس كل لون
أو سحر العيون
وياما تشويفنون

في حبك تفتن
في همس المحبه
ياما تلاقى دنيا

نلاحظ أنها أغنية ذات كلمات بسيطة معبرة وعفيفة المعنى وسهلة اللحن وتعكس أسلوب المؤلف والملحن في تناوله للموضوع وأداء الفنان. كانت من الأغانيات الناجحة وكما عودنا الشاعر عبد الرحمن الريح في مدرسته التي أخرجت لنا من الفنانين حسن عطيه والطيب مهران والتGANI السيووفي وصالح سعد وعمر أحمد وإبراهيم عوض والتاج مصطفى ومن المطربات عائشة الفلاطية ومني الخير. إذن من هو هذا الشاعر والملحن العبقري عبد الرحمن الريح؟

الشاعر الكبير والملحن عبد الرحمن الريح



الفنان أحمد الجابري

ولد الشاعر عبد الرحمن الريح في عام ١٩١٨م بمدينة أم درمان في حي العرب ذلك الحي الذي يسكنه أهل الشعر والمديح والصوفية والغناء وكان هذا مجتمعه الذي شكل شخصيته وفلسفته الشعرية. كانت دراسة عبد الرحمن الريح في الخلوة، دراسة وافية نهل فيها من منابع الدين وتعلم فيها فنون النحو العربي والفقه وقد ذكر سابقاً أنه أتم خمس سنوات متواصلة في الخلوة ولكنه أيضاً قرأ وحفظ كتاب ألفية ابن مالك الذي يحتوي على كل القواعد للنحو العربي منظومة شرعاً وهذا ما ساعدته في تعلم وسباكة الشعر. كانت الخلوة التي درس فيها أولاً هي خلوة الفكي عثمان الخليفة بحي السوق بأم درمان ثم أتم دراسته في خلوة الفكي أحمد عبد الرحيم ثم خلوة الفكي أحمد جابر جد الجابري. الشاعر عبد الرحمن الريح كتب أول قصيدة للغناء في عام ١٩٣٨م وكانت هي أغنية "ما رأيت في الكون" وتغنى بها أولاً الفنان عبد العزيز المأمون الأخ الأكبر للفنان ميرغني المأمون من ثم تغنى بهذه الأغنية كل من المطرب الفاضل أحمد وكذلك كرومة الذي غير في أداء السابقين من المطربين. واصل عبد الرحمن الريح مسيرته الفنية وعند افتتاح الإذاعة السودانية في عام ١٩٤٠م حين دخول الغناء مع الكورس والآلات الوترية بدأ عبد الرحمن الريح في تعلم آلة العود ليواكب التقدم والخروج من النمط القديم نمط حقيقة الفن إلى شيء جديد وهنا تعلم العسود وببدأ التعاون مع الفنان حسن عطيه الذي قدم أغانياته في الإذاعة وبعدها تعاون مع كثير من الفنانين. ذكر بعض النقاد أن لعبد الرحمن الريح حوالي ثلاثة وأربعين عاماً تاركاً وراءه تراثاً فنياً غنائياً ضخماً ولازال أغنياته تحتل مقدمة الأغاني التي تبثها أجهزة الإعلام.

عبد الرحمن الريح يعتبر رائد مدرسة التطريب الغنائي وهو ينتمي إلى نفس المدرسة التي تتلمذ عليها صديقه الشاعر محمد البشير عتيق. وغنى لهم المطرب كرومة وكان من روائع عبد الرحمن الريح وكرومة أغنية "يا ليل هاتلينا صباح" و"ما رأيت في الكون" اللتين كانتا مثار الإعجاب حين ظهورهما. فالحديث عن ثنائية عبد الرحمن الريح وأحمد الجابري لها مذاق خاص انعكس في كل الأغانيات التي غناها له إلى أن بدأ الفنان الجابري التلحين لبعض الشعراء الآخرين. كانت فترة التعاون المكثف بين عبد الرحمن الريح والجابري إثر النزاع

الذي دب بين الفنان إبراهيم عوض و عبد الرحمن الريح و الذي كان من نتائجه أن ذهب الفنان إبراهيم عوض إلى الشاعر و الملحن الطاهر إبراهيم ليتعاون معه تاركاً عبد الرحمن الريح. الجابري استطاع أن يملأ هذا الفراغ الذي تركه إبراهيم عوض. الشاعر و الملحن الطاهر إبراهيم هو أيضاً من تلاميذ الشاعر عبد الرحمن الريح وقد كان يجلس لديه ويتعلم منه كثيراً من الفنون في نظم الشعر و التلحين.

كانت المحاولات الأولى للالتحاق بالإذاعة شاقة وقد فشل الشاعر عبد الرحمن الريح مرتين في تقديم الجابري إلى الإذاعة وإجازة صوته إلى أن نجح في المرة الثالثة بعد الامتثال إلى بعض توجيهات لجنة النصوص آنذاك. ولقد ذكر عبد الرحمن الريح أنه في المرة الأولى والثانية كانت الفصاد و الألحان منه وبرغم ذلك قالوا للجابري "مش كلنا ليك ما تجي هنا صوتك لا يصلح للغناء؟" ولكن عبد الرحمن الريح لم ييأس من عمل أغنية ثالثة وشجع الجابري ورفع روحه المعنوية بأنه سوف يجاز بهذه الأغنية الأخيرة وسيكون له شأن. تقدم الجابري إلى الإذاعة وقدم الأغنية الجديدة التي قيلت وتمت إجازة الصوت وقبول الجابري كمطرب في الإذاعة. كانت إحدى الأغاني التي قدمها الجابري، أغنية جميلة الشكل والمحتوى وعلى مستوى عالى من التطريب والموسيقى سكب فيها الشاعر عبد الرحمن الريح فنونه الشعرية والموسيقية والأغنية هي "أين وعدك":

أين وعدك

* * * *

**فِي حَالٍ غَيْبَيٍ وَوُجُودِيٍّ
وَمَقْصُودِيٍّ
مُنْتَهِيٌّ وَصَاحِبِ الْمُنْتَهِيٍّ
شَاغِلٌ بِالْمُشَاغِلِ**

كان الصحيح توفي عهودي
تعرف من رادي
لكل دلائل
يسار وحدي مال

خیلے حالت اور

شىء مسا اعتىادى

* * * *

* * * *

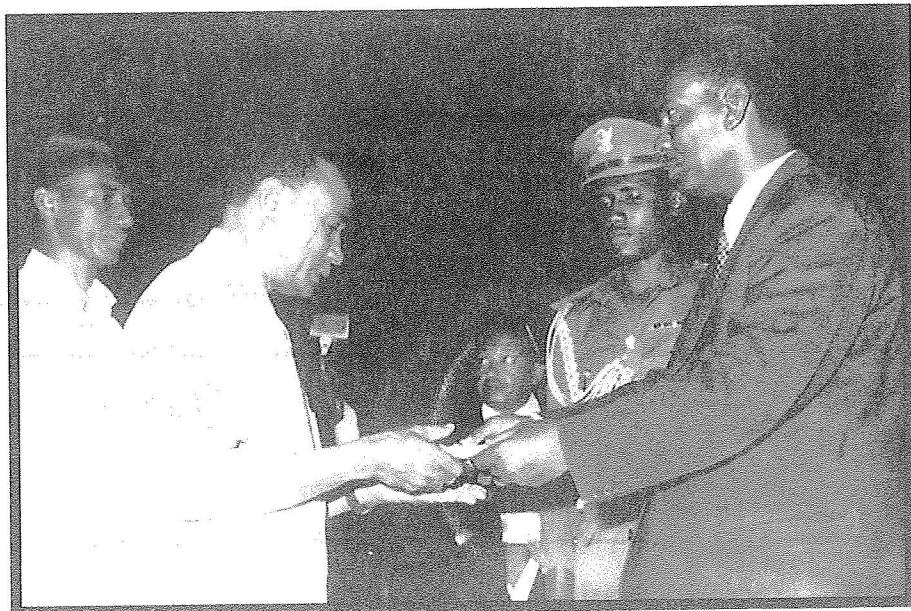
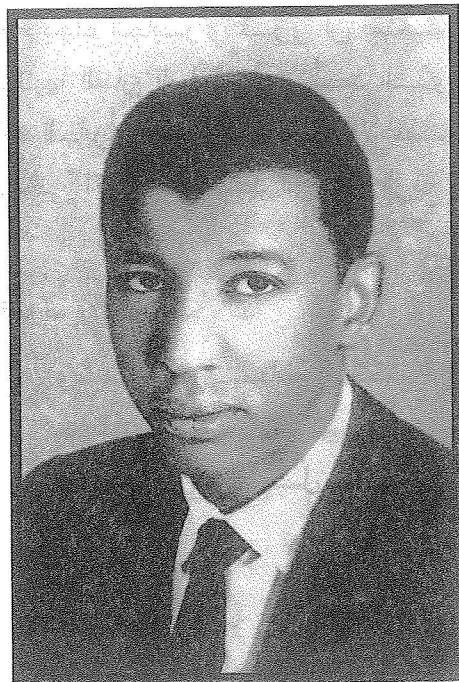
حیرت فیک او صافی
عارضت لیه یا جافی
بے ادی عذ
اش تاق لائے

فِي وَجْهِكَ الْقَمَرُ الدَّاهِيرُ
لَا تَأْنِي إِنْتَ مَسْلَاكٌ
كِيفَ الْفَوْادِ يَسْلَاكُ
وَرْمَزُ احْتِرَامِي
دُمْعَى وَسَهَادِي

يَا أَسْمَرُ اللَّوْنِ يَا نَانَايِرُ
خَلَانِي فِي وَصْفَكَ حَايِرُ
فِي الْحَسْنِ سَامِي عَلَالِي
حَبَّ بَلَقَ مَرَامِي
وَعَزَّ وَانَّ غَرَامِي

هذه الأغنية كانت محظوظة عند تسجيلها لأن أوركسترا الإذاعة كانت في قمة أدائها الفني بقيادة الموسقار المصري مصطفى كامل الذي كانت قد استجلبته الإذاعة لتدريس النوتة الموسيقية. كان مصطفى كامل مشهوراً بالعزف على آلة القانون التي نشعر بها في سمعنا إلى الأغنية. كذلك نلاحظ الأداء الفائق للكمنجات وهذا نتاج دروس الكمان التي كان يقدمها الموسقار الإيطالي ماسترلي للعازفين.

الشاعر بشير محسن
من أصدقاء الشاعر عبد الرحمن الريح
ومعاصر ي المسيرة



الشاعر عبد الرحمن الريح يوم تكريمه في عهد التميري وهو يتلقى
نوط الجمهورية من اللواء محمد الباقر أحمد نائب رئيس الجمهورية آنذاك

بالبنك العثماني بأم درمان وفي إحدى زياراته صادف وأن رأى امرأة عاملة في البنك يظهر عليها الحزن فتأثر عبد الرحمن الريح كثيراً عندما علم أن هذه المرأة حزينة لأنها تحب رجلاً متزوجاً وهو زميل لهم في البنك وكانت تبدو ساهية وغير مكترثة لآخرين هذا الموقف أوحى للشاعر أن يكتب أغنية "حكمة" وإليك النص:

حكمة

ويمشي يختار البعد
تشغل أذهان العباد
وناس بتنعم باللوداد

حد يشعر بالسعادة
حكمه والله وحكيته
ناس بتتعذب وحيدة

بيك سعدت وقلبي راد
أطى من كسب الميعاد
إنت بتحب الغناد
تشغل الروح والفؤاد

قبل ما ت Shawfek عيوني
نظرة في مرآة خدودك
يا جمال يا عاطفة صادقة
ولا بتتحققواول بذلك

كيف بديت حبك زمان
كلامك يا ينابيع الحنان
ولا بتتعارض الأحبة

أحكي لي قصبة غرامك
وكيف بديت في الحب
ذلت بتتبادل المحبة

ومقصدك أنيل مراد

وليها مجد الحب يعود
ما لاقت غير الصدود
أدهشتني من البداية
لو عنادك شفته زاد

ناس بتنعم بالمودة
وناس تحاول ليها مادة
حكمه والله وحكيته
وكيف تكون بكرة النهاية

لا شك أن النص الشعري واللحن جميلان. وأغنية "حكمة" كانت أثيرة لدى الجمهور الذي تعود على نمط عبد الرحمن الريح شرعاً ولحناً.

ومن الأغاني المشهورة لعبد الرحمن الريح التي تغنى بها أيضاً الفنان أحمد الجابري أغنية "الزهور الباسمة"، وهي الأغنية التي سميت عليها الكتاب. هي أغنية تقبس وصفاً كثيراً من جمال الطبيعة وهي أغنية رومانسية من الدرجة الأولى. كانت دائماً تذاع في الفترة الصباحية للإذاعة السودانية لكي يفتح المستمع يومه بهذا الوصف الجميل، الزهور والورد والطيور.

وكانت دائماً تذكرني هذه الأغنية بالصبح والتفاؤل واليوم الجميل. الفنان أحمد الجابري كعادته أدى هذه الأغنية أداءً جميلاً بلونية يمتاز بها هو دون سائر الفنانين وإليك النص:

الزهور الباسمة

الزهور بسمة لينا
والغصون ملأت فرحي
تنثر الورد علينا

شفنا كل الكون جنه
بلبل الأفراح غنى
من شذا الروض الغنا
من حدائق وادينا

لما شفنا حبيب الروح
بين روابي النيل في الدوح
والنسم يسقينا صبح
كل روضة وكل خميلة

فيها غرد شادينا

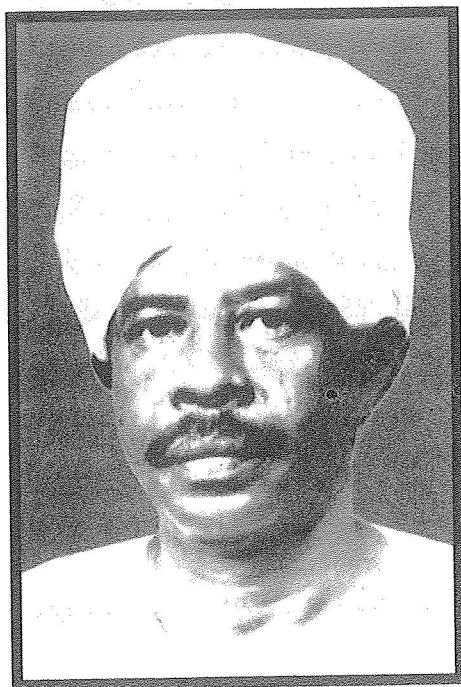
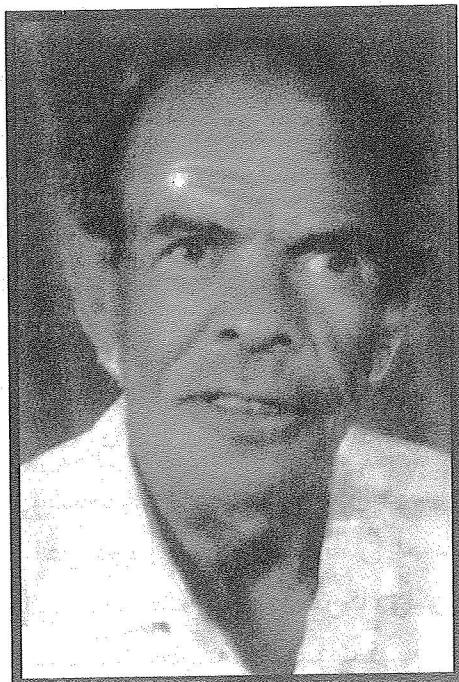
زانت الأفق الزاهي
تنظر الفرح السامي
طرفه في الأمواج زاهي
يلقى فيك ينظر لينا
يا زاهير دلينا

أشرقت شمس الإصباح
مرروا بينا الدنيا صباح
شاف جمال الشاطئ وراح
كلما يسمع خطوات
القمر عن دلوب

يُوْم لقِيَت فِي الدُّنْيَا مِنْيَ
مِنْ خَدُود فَنْ نَهَا وَاه
فِي مُفَاتِنْ دُنْيَا وَاه
فِيهَا كَلْ أَمَانِيَّهَا
يَوْحِي لِيَنْ أَغَانِيَّهَا

شَفَت شَادِي وَشَفَت هَنَاءِي
غَطَت الْأَنْوَار عَنَاءِي
شَفَت يَوْم عِيدِي مَعَاهُ
نَظَرَة السَّادَة الْأَحْبَاب
الصَّبا الْمَقْلُل الْفَتَان

الشاعر والملحن عوض جبريل



الشاعر محمد علي أبو قطاطي

وعينيَا جافو الـ كـ رـ ي
الـ رـ يـ دـ هـ مـ اـ بـ تـ كـ رـ ا
ديـ مـ هـ العـ يـ وـ نـ تـ فـ ضـ حـ ا
تـ دـ مـيـ الـ قـ اـ لـ وـ بـ تـ جـ حـ ا

لـي مـادـه بـذـكـرا
 لـو تـلـقـى زـوـل فـكـرا
 لـي ذـكـرـيـات مـفـرـحـة
 زـهـر الـرـبـيـع فـتـحـا

بِي كَلَمًا فِي مُشِيتا
تَغْرِنَّى بِمُحْبَّةٍ

أَسْرَانِي بِي رَقَّةٍ أَتَمْنَى أَنْ أَلِيمَتَ

* * * *

علمت من أحد أصدقاء الشاعر الراحل عوض جبريل أنه كان يلحن الكلمات بسرعة خيالية مثلما الذي يستحضر اللحن ويبني الكلمات عليه. كانت شخصية عوض جبريل هزلية وهو يحب الضحك والمرح ومصادقة أهل السوق من مختلف الصناعات. فكان قد امتهن حرفة البناء وكان من البنائين الحرفيين الممتازين ولكن في آخر أيامه ترك هذه المهنة واكتفى بكتابة الشعر والتلحين. الشاعر عوض جبريل من أبناء أم درمان الخلصاء ومن أسرة لها باع طويل في الشعر وهو قريب الشاعر الغنائي المعروف صالح عبد السيد (أبوصلاح) وكذلك الشاعر الطاهر إبراهيم.

في الأغنية الثانية أسمى نجد هذا النص أكثر ملائمة للرقص، فهي أغنية راقصة نجح في أدائها الفنان أحمد الجابري أيمًا نجاح لأنه يحسن هذا النمط من التدريب. عرض جبريل كان متأثرًا بالفنانة سعودية العوادية التي ظهرت في نهاية الأربعينات وغنت كل فترة الخمسينات وهي تلك الفترة التي كانت بالنسبة للشاعر عوض جبريل فترة اتصاله مع عائشة الفلاطية وفاطمة الحاج فقد كان يعشق صوتيهما ولذا بدأ بالكتابة والتحسين في آن واحد لهما وكانت البروفات الموسيقية تقام في منزل فاطمة الحاج وبحضور عدد من الأصدقاء من شعراء وموسيقيين. فأغنية أسمى أقرب إلى هذا النمط الذي غنت به سعودية العوادية في زمانها. وإليك النص :

أسمـر

سـرـكـرـ وـأـكـرـ

أـسـمـرـ يـاـ أـسـمـرـ

وـقـلـبـكـ مـنـ وـجـيـبـوـ
وـمـاـ بـيـخـاـ وـالـأـذـيـةـ

مـنـوـ القـالـ لـيـكـ سـيـبـوـ
عـواـزـلـكـ مـاـ بـيـتـوـبـوـ

وـعـيـدـ لـيـ الـأـمـانـيـ
حـنـانـ رـوـحـيـ الـوـفـيـةـ

أـرـجـعـ لـيـ تـانـيـ
بـضـمـكـ بـيـ حـنـانـيـ

وـأـبـيـتـ قـلـبـيـ الـبـرـيدـكـ
وـمـاـ فـكـرـتـ فـيـهـوـ

جـفـيـتـ ضـيـعـتـ رـيـدـكـ
سـمـعـتـ كـلـامـ عـدـوـكـ

قرأت أحد المقالات في الصحف اليومية وتتحدث عن أن الشاعر عوض جبريل له أكثر من أربعين أغنية ونحن لا ندرى مدى صحة هذا الخبر لأن الذي بين أيدينا هو ما نسمعه من أجهزة الإعلام. الفنان أحمد الجابرى لم يترك لنا مخلفات أو وثائق بعد وفاته حتى نستطيع أن نتحقق بأعماله الفنية أو على الأقل سجلًا بأغانيه التي غناها في حياته وكذلك الشاعر عوض جبريل لم يترك لنا وثائق نستطيع أن نتحقق فيما كتبه من شعر وغناء.

يقال أن عوض جبريل كتب ما لا يقل عن سبع عشرة أغنية للفنان أحمد الجابرى ولا ندرى صحة هذا لأن المصادر غير موجودة لتأكيد هذا الكلام. وهذه أغنية أخرى مختلفة في أدائها عن الأغنية السابقة وهي تمثل نمطاً آخر لأحمد الجابرى.

انشغال

مخير هو في حبه

شغلني ما أشغل قلبه

دلال وصدو ماما نسي
دا ظالم ما بيحن قلبه
جفيتو وعدت ساهرت
ياريت لو ما رضيت حبه
أجيـد عن قربـه تذكـرـي
يـحن كل مرـة لـي قـربـه

شـغلـني ما سـألـ عـنـي
أـزـانـي وـهـجـرـو المـنـي
وـصـلـاتـو جـارـ تعـذـبـتـ
بـحـبـه وـفـيهـ وـاحـتـرـتـ
أـحـنـ لـي وـصـالـكـ يـهـجـنـي
أـنـا قـلـبـي الـمـحـيـرـنـي

هوج الرياح "عاصفة الموسيقى"

وكانت أغنية "هوج الرياح" محطة من المحطات الرئيسية في مسيرة الفنان أحمد الجابري، وهي من أغاني فترة السبعينيات المشهورة وعلى ما اعتقد تم تسجيلها في الإذاعة في العام ١٩٦٨م. وأخذت في الانشار سريعاً لما فيها من تنوع موسيقي وترتيب جميل وعاصف. كان اللحن تصويرياً فقد غنى الفنان الجابري على لحن صور به كل التعابير التي وردت في القصيدة في أداء أقل ما يكون رائعاً وجذاباً. نص القصيدة جميل وهو لشاعر يسكن في منطقة حي العرب بالقرب من منزل الفنان أحمد الجابري. وإليك النص:

هوج الرياح

هـ اـ زـ اـ مـ اـ زـ اـ نـ
 جـ بـ كـ لـ اـ حـ اـ زـ اـ
 تـ بـ جـ بـ المـ
 طـ وـ لـ يـ اـ سـ اـ سـ اـ وـ كـ رـ يـ زـ اـ بـ يـ الـ شـ جـ
 جـ رـ عـ نـ يـ كـ اـ سـ مـ نـ لـ وـ عـ ةـ مـ نـ آـ لـ ا~ مـ يـ مـ ا~ المـ حـ بـ خـ لـ ا~ صـ
 خـ لـ ا~ يـ لـ يـ ا~ كـ الـ يـ ا~ لـ يـ ا~ رـ ا~ هـ رـ ا~ خـ لـ ا~
 خـ لـ ا~ فـ لـ قـ لـ بـ يـ الـ حـ سـ رـ ا~ وـ الـ جـ شـ وـ قـ وـ الـ جـ رـ ا~

* خلى النواح*

فـ اـ ضـ قـ اـ بـ يـ شـ يـ مـ عـ هـ
 وـ حـ يـ دـ فـ دـ هـ فـ يـ هـ وـ جـ الـ رـ يـ اـ حـ اـ
 خـ لـ ا~ يـ لـ ي~ ا~ كـ ا~ نـ ا~ ي~ ا~ زـ ا~ مـ نـ

* وخلى الشجن*

الـ يـ لـ يـ وـ دـ بـ
 وـ بـ يـ تـ أـ خـ يـ تـ أـ خـ يـ

يط ويني ف ي رحاب ه الـ وثير
 أنسا والظـون وـن وـع ذابـي والـ صمت المـثـير
 خـلاتـي وـدـي جـنـاحـكـ سـيرـ
 وأـنـسـاـ والـ دـمـوعـ والـ شـكـوىـ
 والـ لـلـيـ شـجـنـ
 رـمـانـيـ لـيـ رـاحـيـ اـزـمـنـ

*وخلـىـ الشـجـنـ

مـنـ بـعـ دـمـ اـعـلـمـ يـرـيـ دـ
 فـجـرـ العـواـطـ فـغـىـ وـنـ شـيدـ
 بـدـلـ مـرـايـ دـلـ الـوـحـ
 وـالـهـ مـأـحـ مـعـيـ
 عـلـمـ يـأـبـنـ يـحـيـاـتـيـ
 مـنـ أـوـلـ جـدـ دـأـشـرـقـ مـنـ عـمـريـ هـوـاهـ
 زـيـ أـجـمـ صـبـاحـ
 وـكـ سـانـيـ بـالـآـمـ
 قـلـبـيـ المـتـ بـيمـ بـيـهـ
 بـيـ أـحـلـامـ بـهـ بـصـبـاحـ
 تـاهـ فـيـ رـيـاضـهـ الرـايـعـةـ فـيـ جـنـهـ اـسـتـراـحـ
 وـأـصـ بـحـتـ يـأـيـ مـامـ حـ زـينـ
 بـساـكـيـ العـيـونـ مـحـتـارـ أـقـلـوـلـ مـاـلـيـهـ الحـزـينـ
 إـيـهـ غـيـرـهـ بـدـلـ عـواـطـفـ هـ صـبـحـ ضـ نـينـ
 إـمـكـنـ ظـنـونـ إـمـكـنـ خـلاـصـ إـنـ شـكـ فـيـ قـلـبـيـ الـأـمـيـنـ
 قـلـبـيـ المـدـالـ فـيـ يـوـمـ يـخـونـ
 قـلـبـيـ المـلـانـ حـنـيـهـ زـاخـرـ بـالـأـمـلـ وـمـهـمـ حـصـلـ
 أـمـلـيـ الـوـحـيـ دـلـ حـبـ هـ مـكـتـوبـ فـيـ الـأـزـلـ
 لـاـ يـمـكـنـ أـبـداـ مـتـ سـحـيلـ فـيـ يـوـمـ أـمـيـلـ لـغـيـرـهـ
 وـأـعـ شـقـ تـانـيـ زـوـلـ

مهم اي ون بن الود بخي
لو حتى يجرح قلبي أنا برضي صابر يا زمان
بك ل أحزانك تع

جيب المحن

إذاً من هو الشاعر مصطفى عبد الرحيم؟ لقد ولد الشاعر مصطفى عبد الرحيم عام ١٩٣٥ م في حي العرب في دار ضمته هو وأمه فاطمة بنت أحمد البدوي لأن والده كان قد توفي وهو في السادسة من عمره فعاش كل آلام اليتيم والحرمان. وهو عاش في نفس الحي الذي ضم الشعراء العظام عبيد عبد الرحمن، سيد عبد العزيز، علي محمود التقاري، وسيف الدسوقي وغيرهم. سار على نفس منوال الشعراء التقليدين فألف للشعر الغنائي أغنيتين مشهورتين هما "هوج الرياح" و"تنكار عزيز" التي غناها الفنان إبراهيم عوض عبد المجيد. هذان النصان الشعريان يحتويان على معاني دقيقة وعلى تجربة الشاعر وأحساسه ومشاعره نحو التجربة الإنسانية. الاسم "هوج الرياح" الذي اتخذه كعنوان للقصيدة يوحى إليك بال العاصفة الجياشة التي في نفسه والتي يحاول أن يجسدتها شعرًا. فهو نص يحكى عن المعاناة والألام التي مر بها الشاعر في حياته، وكذلك ألف نصوصاً شعرية لفنانين آخرين منهم زيدان إبراهيم. عُرف عن الشاعر مصطفى عبد الرحيم الذكاء الذي كان مثار إعجاب زملائه في الدراسة بمدرسة المسالمة الأولية ثم مدرسة أم درمان الأهلية الوسطى ووادي سيدنا الثانوية التي لم يستطع أن يكمل الدراسة بها نسبة لظروفه العائلية الملحقة التي اضطرته أن يهجر الدراسة وأن يبحث عن وظيفة. عمل الشاعر مصطفى عبد الرحيم بمصلحة البريد والبرق حتى تقاعد. كانت وفاته حدثاً حزينأً، فقد بكاه كل سكان الحي وخاصةً زملاؤه وأبناء جيله.

الحزن صفة دائمة في النصوص الشعرية الغنائية السودانية وتجدها أحياناً في الموسيقى وطريقة الأداء هذه الخاصية كانت تميز بها دائماً الأغنية السودانية فرنة الحزن في الأغاني السودانية معروفة منذ القدم. ولذا ليس غريباً أن تكون أغنية "هوج الرياح" من هذه الأغانيات التي اشتهرت برنة الحزن والتشاؤم. هجر المحبوب والشقاء والبؤس صفات كلها موجودة في هذه الأغنية.

الفنان أحمد الجابري أظهر كثيراً من التجاوب مع هذا النص الشعري فوضع لها لحناً مميزاً وحركياً ويرمز لكلماته وبنطون الأداء يشعر السامع بأن هذه الكلمات تعكس معانيها موسيقياً وكذلك من خلال الأداء.

الملاحظ أن الفنان أحمد الجابري لم يتلق أي مساعدة تذكر من فنان معين ولكنه ذكر في إحدى المقابلات معه في الإذاعة أنه استفاد كثيراً من إرشادات الموسيقار المصري مصطفى كامل الذي كان قد جلب لكي يساهم في تطوير الأداء بأوركسترا الإذاعة. كان مصطفى كامل عازفاً ماهراً على آلة القانون التي كان لا يعرفها السودانيون في موسيقاهم ولكن مصطفى كامل استطاع أن يدخل هذه الآلة في تسجيل بعض الأغاني وكتب نوتاً موسيقية لمعظم الأغاني السودانية ومع الأسف قد فقدت في ظروف غامضة بواسطة أحد المسؤولين في الإذاعة في تلك الفترة. كذلك استفاد الفنان الجابري من إرشادات عازف الكمان والخبير الموسيقي الإيطالي أزوو مايستريالي هذا الرجل كان معجباً بصوت الفنان أحمد الجابري وكان يعد صوت الجابري من أجمل الأصوات التي سمعها في السودان والمعروف أن مايستريالي كان قد أعد تصنيفًا للأصوات الغنائية السودانية التي تفرد الجابري بصوت ليس له مثيل.

هل كان دور الأوركسترا الموسيقية دوراً هاماً في إبداع الفنانين عموماً وأحمد الجابري على الخصوص؟ هل استفاد الجابري من الخبرة الأجنبية وأداء الأوركسترا؟.

نعم، كان الموسيقار مصطفى كامل المصري الجنسية الذي كان يسمى بـ"المرشد الموسيقي" له فضل كبير على أداء أوركسترا الإذاعة آنذاك. فهو شخص عرف بغزاره علمه وخبرته التي أهلته لهذا المنصب. استطاع مصطفى كامل أن يضع نوتاً موسيقية لمعظم الأعمال الغنائية السودانية (والتي كما ذكرت قد فقدت في حادث غامض بفعل فاعل بسبب الحسد) كانت نبراساً حقاً، فقد استطاع أن يضيف وأن يحذف في كثير من الأجزاء الموسيقية وتعديل الألحان وتجويده العزف. كانت تلك الفترة من نهاية الخمسينيات ومتناصف الستينيات العصر الذهبي الذي قدمت فيه أجمل الألحان، للفنانين أمثل أحمد المصطفى، إبراهيم الكاشف، عائشة الفلاتية، فاطمة الحاج ولازالـت هذه الموسيقى مصدر إعجاب لكل الأجيال التي تلت تلك الفترة.



أوركسترا الإذاعة السودانية في نهاية الخمسينات وبداية الستينات ويظهر في الصورة الفنان الكاشف والمايسترو وأستاذ آلة الكمان الإيطالي ماسترلا



أوركسترا الإذاعة في الأربعينات والخمسينات ويرى في الصورة عازف الكمان بدر التهامي وأحمد حامد النقر والفنان الفاتح سعد

أوزو مايستيرلي هو خبير إيطالي الجنسية متخصص في عزف آلة الكمان فقد حضر إلى السودان بصحبة الموسيقار الماحي إسماعيل في أواخر الخمسينات. فقد كان من أشهر عازفي آلة الكمان في أوروبا ولكن نسبة لمرضه بالرومانتيزم أي الرطوبة فقد نصحه الأطباء في إيطاليا بالذهاب إلى البلاد الدافئة، فذهب أولًا إلى أثيوبيا ولكن الطقس لم يلائمه فنصحه الأطباء بالسفر إلى السودان حيث الطقس الحار الجاف الذي يلائم.

تم التعرف عليه بواسطة الموسيقار السوداني الماحي إسماعيل والذي طلب منه أن يعطي دروساً في آلة الكمان لأوركسترا الإذاعة وذلك عندما قابله صدفةً مع أحد الإيطاليين بالخرطوم وعلم بموهبته حينها وافق الوزير اللواء محمد طلعت فريد على تعيين مايستيرلي كخبير وأستاذ لآلة الكمان بالإذاعة السودانية.

قدم هذا الخبير الإيطالي كثيراً من الفائدة للأوركسترا السودانية ومن تلامذته المشهورين عازف الكمان عبد الله عربي ومحمدية.

الفنان الجابري قدم أغانيه في تلك الفترة وتحت إشراف هذه الكوكبة من الخبراء والعازفين الممتازين. ولذا نجد أن التسجيلات الإذاعية في تلك الفترة تمثّل بصوت آلة القانون وعزف الكمان (الصولو) والذي كان يعتبر من سمات التقدم الموسيقي في تلك الفترة. كذلك دخل عزف الإيقاع المزدوج (البنقر)، فكان قد عاد من القاهرة عازف الإيقاع المشهور خميس جوهر بعد أن صحب بعض المطربين السودانيين إلى مصر وهو يحمل معه آلة البنقر وعزف عليه لأول مرة في السودان وبذلك أتى بإضافة أخرى للموسيقى في ذلك الزمن.

كان افتتاح المسرح القومي في أم درمان وفي العام ١٩٦٠ م حدثاً هاماً لا يمكن أن ننساه حين رُفعت ستارة وظهرت الأوركسترا بشكلها الجديد وبها أكثر من ثلاثة عازفًا لمعظم الآلات الموسيقية وأيضاً لأول مرة تم توحيد اللبس، البدلة السوداء الكاملة وربطة العنق الموحدة (ليس السهرة التقليدي)، وقدم الفنانون السودانيون الواحد تلو الآخر أغانيتهم في جو يعتبر عظيماً وجديداً على السودان حينها.

اكتشاف الذات وبداية ألحانه

كما ذكرت سابقاً أن الفترة الأولى في حياة الفنان أحمد الجابري الغنائية كانت تعتمد على الشعراء الملحنين أو ملحنين لأغانياته، وبعد الرحمن الريح وعوض جبريل وأحمد زاهر. بعد أن داع صيت الجابري كفنان مبدع وصار له جمهور كبير، بدأ بعض الشعراء الاتصال به لمنحه بعض النصوص الشعرية التي يأمل كتابتها أن تجد حظاً في النجاح مثلاً حدث لمعظم أغانيات أحمد الجابري التي كتبها في تلك الفترة.

كان أول لحن عمله الجابري هو لحن أغنية "رسائل" للشاعر الصادق إلياس. الصادق إلياس ذكر لي أنه قد تعرف على الفنان أحمد الجابري في عام ١٩٦٣م وكان ذلك بداية التعامل الفني بينهم. فقد كتب الشاعر الصادق إلياس نص أغنية "رسائل" ومنحها إلى الفنان الجابري والجابري رد عليه بكل جراءة بأن هذا أول نص شعري سوف يلحنه بنفسه وفعلاً بعد أسبوع كانت أغنية "رسائل" جاهزة اللحن وسمعها الشاعر واستحسن اللحن وأعجب به وتقاجأ بأن أحمد الجابري أصر وقرر أن يدخل بها في مسابقة في التليفزيون مع الفنانين إبراهيم عوض وصالح سعد. فعلاً فقد تمت المسابقة وفازت أغنتنا إبراهيم عوض وأحمد الجابري. وهذا هو نص الأغنية:

رسائل

جات أغرب رسائل
وقال ناسـنه قـايلـ

من طرفـ الحـبـ بـ
يـكـيـ عـتابـهـ فـيـهـ

ما خطرت بـسـاليـ
إـنـيـ جـفـيـتـ وـسـالـيـ
لـوـ تـعـلـمـ بـحـالـيـ
وـذـكـرـاكـ شـاغـلـهـ بـسـالـيـ

يـامـاـقـالـ حـكـاوـيـ
قـالـ فـيـ كـلـ كـلـمـهـ
لـوـفـيـ كـلـ لـحظـهـ
مـاـنـاسـيـكـ وـالـلـهـ

أكون غدار وخنت
وأحـمـمـ فـيـ مـصـيرـ

لـوـ أـنـ سـاـكـ إـنـتـ
أـسـأـلـ عـنـيـ غـيـرـيـ

يا ما تشوف دلائل

مالـيـ دـخـلـ فـيـهـ
بـهـ وـاهـ وـبـ صـطـفـيـهـ
لـوـ فـكـرـتـ فـيـهـ
دـاـ حـبـكـ عـشـتـ بـيـهـ
تـرـسـلـ لـيـ مـظـنـهـ
وـمـاـ يـرـجـعـ ضـمـيرـيـ

يـامـاـقـالـ كـلامـ
إـنـيـ بـرـوحـ لـغـيـرـهـ
إـشـاءـ اللـهـ حـيـاتـيـ تـفـرـىـ
لـاـ لـاـ وـأـلـ فـلـاـ
بـدـلـ أـشـوـاقـ وـمـحـنـهـ
كـلامـ يـجـرـحـ شـعـورـيـ

من زول عن سائل

وبنجاح هذه الأغنية اكتشف أحمد الجابري نفسه بأنه مطرب وملحن ويستطيع أن يحصل على نصوص شعرية ويلحنها ويغنيها ولا يجوز الاعتماد على الملحنين. كانت تجربة الشاعر الصادق إلياس ناجحة ولذا فقد منح أحمد الجابري عدداً من النصوص الشعرية التي قام الجابري بتأثينها وغنائها وهي:

١/ هاتوا الياسمين هاتوا ٢/ شقاوة زول

٣/ الجريف واللوبيا ٤/ حكاية ملام

أحمد الجابري أعجب بهذه النصوص وعمل لها أحاناً مختلفة ولكن بصماته ظاهرة وأداؤه يغلب عليه الطابع المصري ممزوجاً بالنمط السوداني الذي تعلمه من عبد الرحمن الريح. نلاحظ هذا الأثر المصري في الأداء في أغنية "هاتوا الياسمين هاتوا" وهي أيضاً من كلمات الشاعر الصادق إلياس.

هاتوا الياسمين

في دروب خلوتنا ورشوهـ
طـرـيقـتـ اـفـرـشـ وـهـ

هـاتـوـ اليـاسـمـينـ هـاتـوـهـ
جيـبـواـ النـوارـ فـيـ عـرـضـ

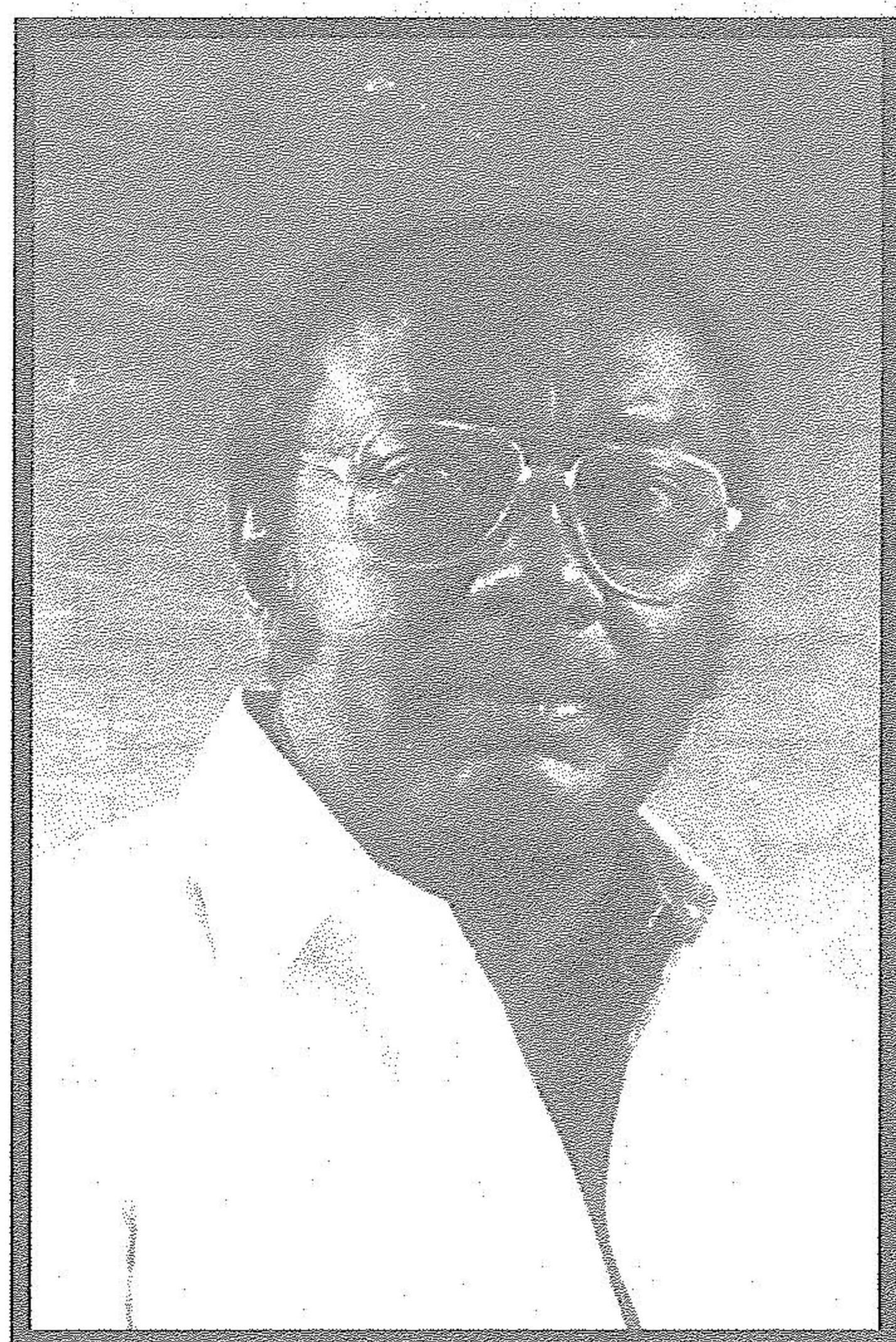
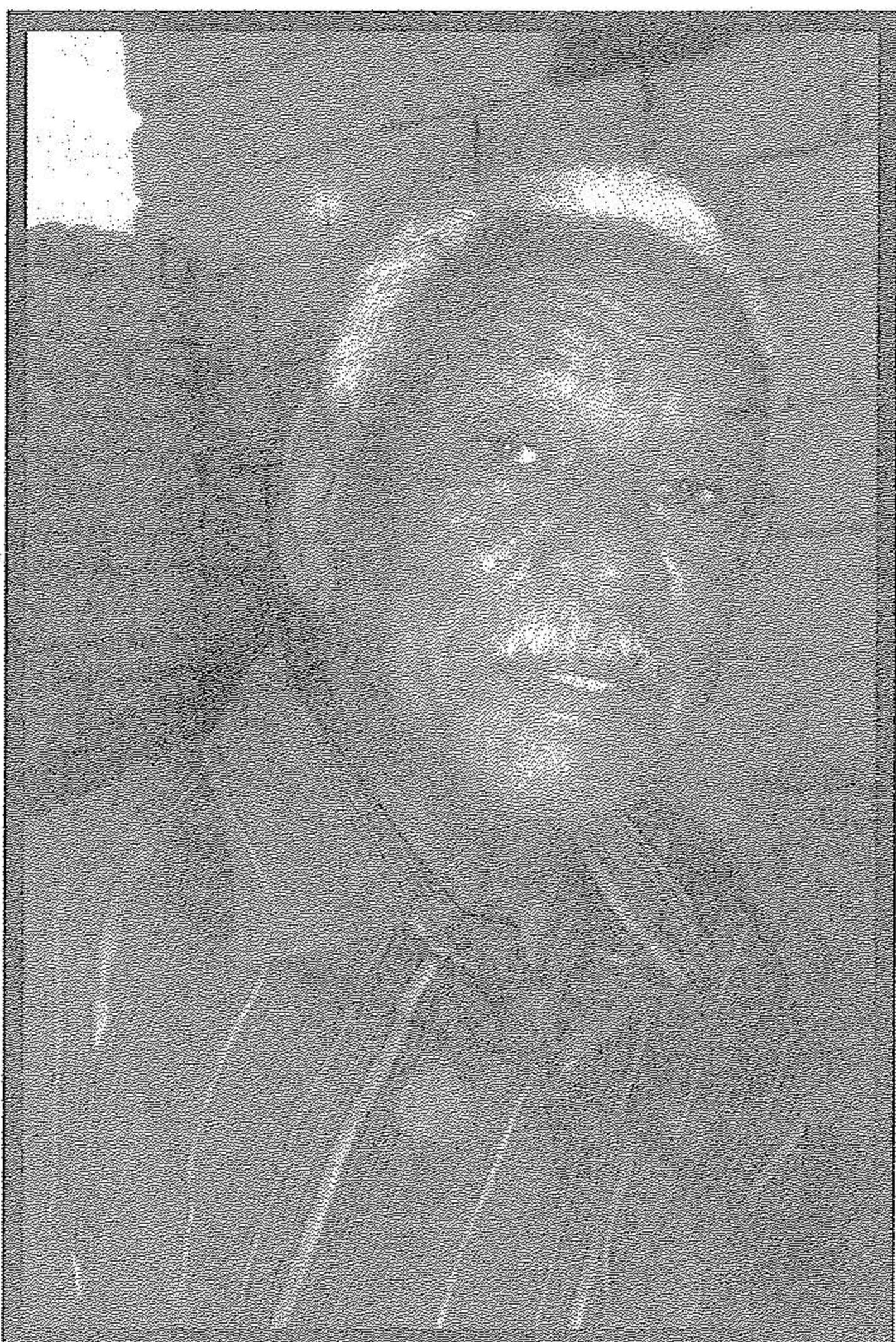
البنـت الطـلـات شـوـفوـها
 ما تـنسـوا عـشـانا تـقولـوها
 ما عـارـف الفـيـنا عـملـتيـه
 عـلـى حـب النـاس ما تـقـسـيه..
 ورـتـا مـبـاهـج العـصـرـيـه
 تـفـرـح دـنـيـاهـا الـورـديـه
 وـأـظـنـه كـمـان جـاتـو الرـعـشه
 رـوـح فـي درـوبـك وـأـفـشه

تعالـوا يا نـاس بـكـل إـحـسـاس
 صـلاـة الزـين بـتـكـف العـيـن
 نـضـار الخـضرـة وـفـتـيـه
 لـو قـلـبـك تـايـه حـسيـه
 بـكـل تـفصـيل جـاتـ مـارـه أـصـيل
 نـسيـم هـفـاف كـل الأـوصـاف
 حـرـف الأـشـعـار رـاح فيـ الـدـهـشـه
 القـلـبـو رـهـيف خـاـيف الـوـحـشـه

يـا نـور ضـوـايـ فـي دـنـيـانـا
 مـحـلـ ما بـنـمـشـي مـبـارـيـانـا
 وـأـبـرـاهـاـ دـوـامـ ما تـتـخلـى
 وـقـرـيبـ الـعـنـدـك يـا اللهـ

يـا القـدـمـك خـيـرـ
 فـيـك سـيـرـه سـرـورـ
 تعـالـ يـا غـمـامـ أـبـقـي مـظـاهـه
 دـايـرـينـ الشـوقـ يـوـمـ يـتـبـلـى

الشاعر الصادق إلياس



الشاعر سيف الدسوقي

كان هذا هو النمط الذي تعامل به الشاعر الصادق إلياس مع الفنان أحمد الجابري وهو نمط قريب من طبع الجابري القديم إلى أن جاء العمل الأخير في قصيدة كتبها الصادق إلياس تجاوباً مع الجابري في مأساته وهي أغنية غيرت كثيراً في مسيرة الجابري الفنية. والحديث هنا للشاعر الصادق إلياس الذي ذكر لي أنه عندما حصلت المأساة الشهيرة وذلك عندما توفت والدة الجابري ودخل الجابري في دوامة نفسية غريبة على إثرها وكان لزاماً عليه أن يكون بجانب صديقه. وبعد إلحاد شديد استطاع الشاعر الصادق إلياس أن يقنع الفنان أحمد الجابري أن يعود إلى الغناء وأن يتناسى كل الذي حدث ويبداً حياة جديدة ولذا كتب له النص الشعري الغنائي "حكاية ملام" يقول النص:

حكاية ملام

وأرجع وأقول أنا الغلطان
تفيـد زولاً رجـع نـدمـان
لـقـيـت جـوف فـات غـشـى الـبـلـدـات
وـأـلـاحـقـ الـرـيحـ وـكـتـ تـجـرـيـ
أـعـيـدـهاـ وـدـيمـاـ أـتـأـسـفـ
أـقـشـ فـيـ دـمـعـيـ مـاـ تـجـفـفـ
وـأـفـرـ الـبـسـمةـ زـيـ الـكـلـ
وـأـكـونـ نـوـالـ جـزـيلـ صـبـريـ
وـيرـجـعـ حـالـيـ لـحـالـهـ
وـأـجـيـبـ الـبـاقـيـ الشـالـهـ
أـصـلـهـ الـبـيـ مـاـ رـيـحـ
وـأـقـولـ لـعـمـريـ مـاـ تـجـرـيـ

أـخـتـ الـلـوـمـ عـلـىـ نـفـسـيـ
وـمـاـشـفـناـ النـدـامـهـ تـفـيدـ
رـجـعـتـ أـفـتـشـ مـكـانـيـ الـفـاتـ
وـعـادـ كـيـفـنـ الـاحـقـ الـفـاتـ
حـكـاـيـتـيـ مـعـ الـمـلـامـ طـالـتـ
فـقـدـ مـحـبـوبـ عـلـىـ مـكـتـوبـ
مـتـينـ يـاـ غـيـمةـ تـرـمـيـ الـضـلـ
تـهـلـ الـبـهـجـةـ فـوـقـيـ تـطـلـ
يـاـ يـرـيـتـ الـلـوـمـ يـرـجـعـنـيـ
أـلـمـ الـبـاقـيـ مـنـ عـمـرـيـ
وـأـخـتـ أـحـزـانـيـ وـأـتـرـيـحـ
وـأـعـودـ مـشـوارـيـ مـنـ بـدرـيـ

وذكر لي الشاعر الصادق إلياس أن نص هذه الأغنية يتطابق فصول مأساة الجابري وأن الجابري قد أعجب بالكلمات ولكن كانت المشكلة أين نجد آلة عود للجابري لأن الجابري كان قد حطم العود الذي يقتنيه (والمعروف أن الجابري لا يعزف على أي عود) فإنه دائمًا يبحث عن عودٍ يناسب طريقة عزفه. وأخيراً استطعنا أن نتذكر أن في المنطقة الصناعية في أم درمان يوجد رجل عنده ورشة

لتصليح الأعواد وأن الجابري كان قد ترك عنده عوداً قبل سبع سنوات من ذلك التاريخ ولم يعد له وفعلاً ذهبنا إلى تلك الورشة ووجدنا الرجل لازال محتفظاً بالعود وكان قد تم تصليحه قبل فترة طويلة ولم يأت الجابري لاستلامه وفرحاً كثيراً ومن ثم شرع الجابري في تلحين النص إلى أن قدمه للجمهور. ويقول الصادق إلياس أن هذا النص الشعري كان قد أثر في الفنان الجابري جداً وأوجد تجاوباً شديداً مع نفس الفنان وعادت الثقة إلى نفسه وبدأ بغير اسلوب حياته وتترك السهر وصار يذهب إلى الجامع ليصلّي كل الأوقات . تحسنت حالة الجابري المادية لأن شركات تسجيل الكاسيت كانت قد بدأت تسجل أعمال الفنانين المشهورين وكان من ضمنهم الجابري الذي كسب أموالاً مكنته من أن يشتري منزلأً في مدينة الثورة في أم درمان. وبدأ الفنان أحمد الجابري في العودة إلى الحياة العامة بعد غياب طويل من جمهوره بل بدأ كذلك يظهر في شرائط الكاسيت التي اشتهرت في ذلك الزمان نسبةً لدخول جهاز الكاسيت في السيارات الخاصة والباصات وجميع وسائل المواصلات مما أعطى شهرةً أكبر للفنانين السودانيين .

ومن الإغانيات التي لفت إنتباه المستمع السوداني أغنية تناولها الموسيقيون بالتحليل لما فيها من تنوع في الموسيقى والأداء بلونية خاصة غالب عليها الطابع المصري أو العربي عموماً وهي أغنية "الجريف واللوبيا" التي كتب نصها الشاعر الصادق إلياس. الصادق إلياس من مواطني الجريف غرب ويسكن في منزل يطل على المزارع التي بدورها تطل على النيل الأزرق وتشكل منظراً جميلاً. عند زيارتي للشاعر الصادق لفت نظري هذا المنظر وعلقت على ذلك ورد عليه الصادق إلياس بأن داره كانت قبلاً كثيرة من الشعراء على رأسهم محمد البشير عتيق. فقد ذكر لي أنهم يجدون متعة كبيرة وهم يتأملون هذا المنظر وبعض الأحيان يشقون طريقهم إلى المزارع القريبة. هذه الطبيعة الخلابة لابد أن تؤثر على الشاعر الصادق إلياس وفعلاً فقد كان نتاجها هذه القصيدة "الجريف واللوبيا" التي صارت من الأغانى المشهورة في زمانها وإليك النص :

الجريف واللوبيا

والأم لـ والطيبة
وبـ اقـي ذـ كـرـى حـبـيـة
الـقـاـيـمـة عـاـمـة زـرـيـة

عـنـدي شـوق لـي نـيـلـا
الـجـرـيف وـالـلـوـبـيـا
وـعـشـة الصـفـ صـافـ

ويـنـ وـصـوتـكـ مـالـو
غـنـى بـاسـمـ حـالـو
وـشـرـ هـدـومـ فـي رـمـالـو
وـوـيـنـ وـمـينـ الشـالـو

يـاسـوـاقـيـ بـادـنا
وـيـنـوـ قـارـعـ مـويـتـاـكـ
وـيـنـ غـسـيلـ النـيـلـ
وـيـنـ وـماـضـيـ الـحـلـةـ

لـمـاـكـنـاـ صـغـارـ
نـقطـعـ الـأـثـمـارـ
نـاسـ صـغـارـ وـكـبـارـ
وـمـاـفـيـ كـانـ أـسـرـارـ

كـانـ زـمـانـ نـتـدـلىـ
مـنـ فـريـعـ لـيـ فـريـعـ
كـانـ بـحـرـنـاـ نـعـومـوـ
فيـنـ اـطـيـبـةـ الـقـرـيـةـ

الـكـانـ يـشقـ الـبـيـلـ
الـظـلـالـ فـيـ النـيـلـ
الـكـنـاـمـنـ وـنـشـسـلـ
الـجـارـيـةـ زـيـ الـسـيـلـ

وـيـنـ وـصـوتـ الـسـاقـيـةـ
وـيـنـ نـخـيـلـ الـرـامـيـ
وـيـنـ وـيـنـ دـفـيـقـةـ
وـيـنـ جـداـولـ الـمـوـيـهـ

فـيـ رـمـالـاـكـ ذـكـرـهـ
وـلـاـ بـتـفـارـقـ الـفـكـرـهـ

يـابـحـرـ حـلتـتـاـ
لـاـ بـتـشـبـلاـ الـمـوـجـهـ

ويـظـهـرـ مـنـ كـلـمـاتـ الـأـغـنـيـةـ إـنـهـ تـحـدـثـ عـنـ الطـبـيـعـةـ وـعـنـ ذـكـرـيـاتـ
الـمـاضـيـ وـعـنـ الزـمـنـ الـجـمـيلـ وـعـنـ الـبـرـاءـةـ وـعـنـدـمـاـ كـانـتـ الـحـيـاةـ بـسـيـطـةـ وـالـنـاسـ
بـسـيـطـيـنـ جـمـيلـيـنـ. يـتـحـسـرـ الشـاعـرـ عـلـىـ الزـمـنـ الـجـمـيلـ الـذـيـ ضـاعـ وـمـاـ تـلـاهـ مـنـ

تغيرات لم تصلح لزمنه الحالي. الجابري عمل عملاً كبيراً من الناحية الموسيقية والتعبيرية ولكنه كما ذكرت خرج من النمط السوداني المعروف إلى أنماط عربية.

الأخ الموسيقار عبد اللطيف خضر (ود الحاوي) الملحن المعروف على هذه الأغنية بحدث جميل ومهم وهو أن الجابري قد استعمل طبقات الصوت كلها ليخرج لنا هذه الأغنية وأنه استعمل في الموسيقى سلام عربية متعددة وبالتركيز على ثلات أدناها السلم البياتي. وهو يعتبر إن هذه الأغنية فيها الكثير من الجديد في عالم الموسيقى السودانية الحديثة.

الرقه والنغم

كنا على موعد مع الشاعر أبو آمنة حامد في إحدى أمسيات عام ١٩٦٥ م وكان الجو شتاءً وكنا مجموعة من الأصدقاء وكثيراً ما نجلس مع الشاعر الفكه أبو آمنة حامد ليحدثنا عن نوادره ويروي لنا قصصه وفكاهاهاته التي اشتهر بها ومع ذلك نسمع النصوص الشعرية الجديدة التي كان يؤلفها من الحين إلى الحين. وكان في تلك الليلة أن استمعنا إلى النص الشعري الجميل لأغنية "ما نسيناك" وأنثينا عليها بعد السماع فهي قصيدة رقيقة المعانى جميلة المحتوى وجيدة السبك. أتت مناسبات أخرى وسألناه من سيغني تلك القصيدة الرائعة فذكر لنا انه أعطاها إلى الفنان أحمد الجابري. وبعد زمن ليس ببعيد سمعناها من خلال المذيع حيث شدا بها الفنان المقتدر أحمد الجابري الذي كان حينذاك قد بلغ قمة العطاء وصارت له شخصية مميزة كأحد الفنانين المقتدررين الذين بلغوا الذروة. النص الشعري كما ذكرت جميل ينصب في موضوع العتاب العاطفي والحكمة. أبو آمنة حامد شاعر رقيق وشاعر مطبوع يقول الشعر في لحظاتٍ حرجية مما يدل على مقدرته وسرعة بديهته ولنطالع النص:

ما نسيناك

معنا بعد ما بالتنا
ما فاي عمرنا
جاي تعلم إيه؟

ما نسيناك جاي تعمل إيه
وماس قيناك أحلى
من عواطف ما لقيناك

في شكه أكثر من يقينو
وتحترق بالحب سينينو
الشاربه من حبه وحنينو
يسعى لبي قلباً يعنينو

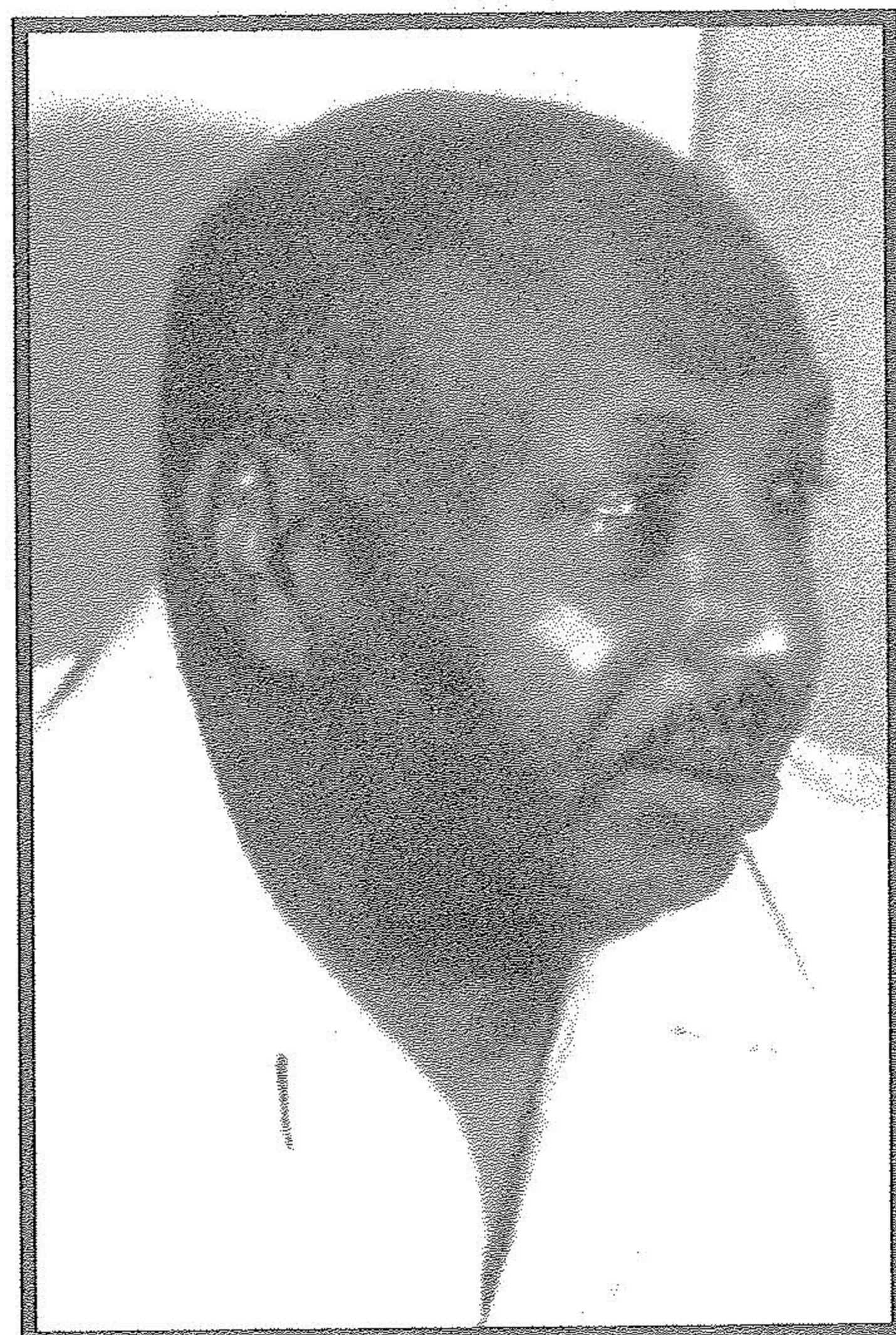
الرهيف قلباه يعيش
تستبيهو نظره جاره
قلبو عايش في العيون
وناكره حتى إن و إنسان

ليه تزيد آلامه أكتر
ما خانتك تبكي تسهر
بعد ما قلبك نور
الحزين من حبه أكبر
سيبو بس تشف جراحو
بس تسرخ من نواحه
 بالأمل يشرق صباحو
منكسر مكسور جناحه

ما كفاهو العذاب فهو فيه و
وليه عيونه العمرها
وليه توشع فجره بالحزان
أضحي جرح الفرقه في قلبه
قلبي غافر ليك ذنبيك
الحزين العايش لحبك
سيبو مره يغسل أحزانه
وكيف يطير لي عشه عصفور

جاي تعمل إيه

الشاعر أبو أمنة حامد



الشاعر كامل عبد الماجد

الجابري أدى هذه الأغنية أداءً رائعًا تستشف منه نضوجه الفني وترى فيه تلك المقدرات التي بربرت من خلال أدائه لهذا النص. فالشاعر والفنان قد وفقاً جداً في إيجاد النص الشعري المناسب والأداء المناسب الجميل ولا تخيل امكان أن يؤديها أي فنان أحسن مما أداها أحمد الجابرri. أبو آمنة حامد ذلك الرجل الذي قدم من مدينة (هيا) مسقط رأسه في شرق السودان الساحر وهو من قبيلة الهدندة وتعتبر اللغة العربية بالنسبة له لغة ثانية ولكن الموهبة هي التي منحته كل هذه المعرفة والتعابير العربية الجميلة التي استخدمها في كل قصائده التي غناها فنانون غير أحمد الجابرri. والمعلوم أن أول فنان غنى لأبو آمنة حامد كان هو الفنان والموسيقار الكبير محمد وردي في أغنية "فرحة" مما يدل أنه بدأ بداية كانت موفقة وكتب بعدها نصوصاً منها للفنان صلاح بن البدية والفنان محمد الأمين وصالح الضي وغيرهما. ولكنه كان شاعراً مقللاً في إنتاجه. عاش الشاعر أبو آمنة حامد جل وقته في العاصمة المثلثة بل لقد درس الثانوي في الخرطوم الثانوية وبعدها التحق بكلية البوليس حيث عمل كضابط شرطة لعدد من السنين وبعدها استقال من الشرطة ليزاول العمل في ميدان الإعلام. فقد عمل من قبل كمحلق إعلامي في سفارة السودان بالقاهرة. كان كاتباً متفرغاً لكل الصحف السودانية يكتب في عدد منها متناولاًً مواضيع عامة بأسلوبه الساخر المعهود. أيضاً كتب أبو آمنة حامد النشيد الوطني، فكان قد كتب نشيضاً ثورياً عند زيارة جمال عبد الناصر إلى السودان في عام ١٩٦٠م تغنى به الفنان الكبير عبد الكريم الكابلي. توفي رحمة الله في عام ٢٠٠٧م بعد مرض عضال. رحمة الله فقد كان شخصاً ودوداً وصديقاً للكل، كان كل همه العيش وسط الناس بسعادة وأمان.

الغربة في كلمة عتاب

كانت الفترة التي بدأت بالسبعينات، فترة اغتراب إلى خارج السودان. هاجر كثير من أبناء السودان إلى بلاد النفط العربي بحثاً عن وضع معيشي أحسن ولذا بدأ يأتينا شعر من الشعراء السودانيين في المهجر ليصبح أغاني تتحدث عن تجربة الغربة ومرارتها وتجاربها المختلفة. غنى معظم فناني الفترة أغاني تتحدث عن الاغتراب بنغمات متعددة غالباً تتسم بطابع الحزن.

الشاعر سيف الدسوقي كان قد سافر إلى المملكة العربية السعودية منتدياً من الإذاعة السودانية إلى هيئة الإذاعة السعودية وكان ذلك في فترة السبعينات. الشاعر سيف الدسوقي من الكفاءات المميزة في العمل الإعلامي وشاعر صاحب تجربة محسوسة. عاد الشاعر سيف الدسوقي بعد انقضاء فترة الإعارة ونهاية الغربة وهو يحمل معه نصاً شعرياً جميلاً لأغنية وهي "بدون رسائل" كهدية لصديقه وجاره في الحي الفنان أحمد الجابري وكان سيف الدسوقي يعلم أن الفنان أحمد الجابري كان دائماً يبحث عن النصوص الجميلة ليقدمها إلى جمهوره المترقب لأعماله. أغنية "بدون رسائل" كانت زهرة البنفسج في حديقة الأغنية السودانية في ذلك الزمن، تلقفها الجمهور سريعاً وصارت من الأغاني الأولى التي يطلبها الجمهور في مختلف نشاطات الإعلام. ونص الأغنية هو:

بدون رسائل

بيه أتصبر شويه
كل يوم تكتب إللي
بالخطاب تخبل على

ما في حتى رسالة واحدة
والوعد بيننا إللي
هل يجوز والغربة حارة

قبل ما أودع وأغادر
إنني متعدد وحابر
دابر أضحك ومانى قادر
ضيعت صبري الشويه
وين رسائلك وين كتابتك إللي

لما آخر مرة شفتاك
كنت حاسس إني خايف
دابر أتصبر أمامك
بس دموعك لما فاضت
وصحت موعدنا الرسائل

* ذرة في بحر الزمن
بعتها بأبخس تمن
وغربه عن أرض الوطن

صرت بعده يَا حِبِّي
بعث لـلآلام مـواهبي
وحـشـه ما بـتـعـرـفـ رسـائـلـ

لـوـرسـالـهـ تـصـلـ إـلـيـ
بسـ حـرـامـ تـبـخـلـ عـلـيـ

بسـ أـمـلـ وـاحـدـ بـعـيشـوـ
بـيـهـ أـطـمـنـ عـلـيـكـ

هي كلمات عتاب رقيقة للحبيب الذي يعيش في الوطن يحكى فيها الشاعر تجربة الغربة ومرارة الحرمان والبعد عن الوطن. نص شعرى جميل والموضوع جديد على شعراً الأغنية. يعتبر الشاعر سيف الدسوقي من رواد هذا النوع من النص الشعري. تعتبر هذه الأغنية اللقاء الثاني بين الشاعر والفنان أحمد الجابري حيث التقى أولاً في أغنية "كيف أنساك" التي غناها الجابري في بداية مشواره الفني والتحاقه كمغني بالإذاعة السودانية وكانت من الأغاني الناجحة للجابري وهو في بداية سلم الشهرة. ولد الشاعر سيف الدسوقي في حي العرب بأم درمان حيث كان يسكن أهل الفن والرياضة. أكثر مشجعي نادي الهلال الرياضي والمريخ كانوا في هذا الحي وأيضاً من لاعبي الناديين الشهيرين ومنهم عوض أبو زيد وصالح العبد وإبراهيم يحيى الكوارتي وماجد.

قضى الشاعر سيف الدسوقي طفولته وشبابه في هذا الحي مروراً بفترة الدراسة إلى أن التحق بالإذاعة السودانية كمذيع. الشاعر سيف الدسوقي من الشعراء المتمكنين من فنون اللغة العربية وكان من أبرز المشتركين في منتدى المربد الشعري بالعراق حيث قدم عدة قصائد باللغة العربية الفصحى نالت الاستحسان وأيضاً منح جوائز تقديرية. وتأتي معرفة الشاعر الواسعة للغة العربية نسبةً لدراسته في المعهد العلمي بأم درمان ذلك المعهد الذي تخرج منه معظم علماء اللغة العربية وكبار الشعراء كالتيجاني يوسف بشير شاعر السودان الأول. كما ذكرنا سابقاً فهو إعلامي متخصص وقد نال تدريباً على الإعلام والإخراج الإعلامي في الولايات المتحدة الأمريكية في فترة الستينات من القرن الماضي.

كتب قصائد أخرى غناها فنانون آخرون منها قصيدة "المصير" التي غناها الفنان إبراهيم عوض الذي هو أيضاً جاره في حي العرب.

تعتبر أغنية "بدون رسائل" أيضاً من المحطات المهمة في مسيرة الفنان أحمد الجابري فهي أغنية مكتملة من النواحي الفنية ولا زالت تحتفظ بشبابها وألقها وتلقى كل الترحاب من المستمع السوداني الذي تعود أن يتذوق الأغنية الجيدة وتظل تعيش في ذاكرته.

قمة الإبداع في سيد الاسم

كان ذلك في عام ١٩٧٠م عندما استمعنا للمرة الأولى لاغنية سيد الاسم من الفنان أحمد الحابر و كلمات الشاعر كامل عبد الماجد.

كانت أغنية تحمل كل جماليات الأداء الفني السوداني وإبداع الجابر في دا�لها. وكانت أيضاً بمثابة كسر لرتابة فنية سيطرت على مجريات الغناء السوداني لفترة من الزمن لم يسمع خلالها عن عمل مميز يتباين معه الجمهور بالسرعة التي تجاوب بها مع أغنية سيد الاسم.

كامل عبد الماجد ليس ببعيد مما فهو في ذلك الزمان الطالب بكلية الاقتصاد جامعة الخرطوم وتزامناً في نفس الفترة وكانت مناسبة جميلة لنا أن يكتب أحد زملائنا قصيدة غنائية تصبح من أجمل أغاني الفترة. قبلها كان قد كتب أغنية "تاييه الخصل" التي غناها الفنان حمد الريح و الذي ما كان بعيداً عنا فقد كان في وقتها موظفاً في مكتبة جامعة الخرطوم. وفق الفنان أحمد الجابري في وضع لحن جميل استطاع بأدائه المتميز أن يجعل منها درة نادرة في جبين الأغنية السودانية الحديثة. كان قد تم نشر القصيدة في إحدى الصحف السودانية وعليها طلب موجه إلى الفنان أحمد الجابري أن يقوم بتلحين وأداء هذا النص فتلقىها أحمد الجابري وشرع في تلحينها وقد كان الشاعر من الذين حضروا البروفات للحن الذي عمله الجابري وخرج لنا بأغنية متكاملة من كل النواحي كإحدى أجمل قصائد وأغاني تلك الفترة. وإليك النص :

سید احمد

محبوبی و کتنین بیتہ سم سم .. تنا .. سم فیکا وال شو، پر تسم	ید الاس م الدینیا یان اس الفرحہ تملہها و تزغیر
---	---

* * * *

أديه و كله تزعلا
أنا عارفو ما بيتحملو
الدمعه حاربه تلاه
رات .. أقول
حبة عذاب وكلام عتاب
علشان أشوف خده الحبر

وَدْلُو وَإِشْرَاقَهُ الْحَلْو
أَقْوَلُو وَأَرْجَعَ مِنْهُ زَمْ
.. تَنَّةٌ سَمْ
فِيهَا وَالشُّوقُ يُرْتَسِم

وَالضَّحْكَةُ وَالنَّظَرَةُ الْوَدِيعَةُ
وَأَنْسِيَ الْعَقَابُ أَكْذَتْ نَاوِي
الْدُّنْيَا .. يَا نَاسَ
وَالْفَرَحَةُ تَمْلَاهَا وَتَزَغَّرُدُ

مِنْ مَوْدَةٍ وَمِنْ مَنِي
مَحْبَّةٌ فِي اضْطَرَّةٍ وَهُنَّا
زَوْلَاسْـوَايْ أَبْدَأْ أَنَّا
دِي فِي عَيْوَنِي مَدُونَا
الرَّاجِعَةُ لِلْعَشِ وَالْجَنَّا
لحَظَةٍ تَشَعُّ تَرْشَحُ سَنَا
وَكَتَنِينْ يَبْلَغُ وَيَبْتَسِمْ
.. تَنَّةٌ سَمْ
فِيهَا وَالشُّوقُ يُرْتَسِم

أَنَا فِي الْعَيْوَنِ بِبَنِيلُوا دَارِين
وَبِضُمْوِ فِي قَلِيبِي اِنْبَسَاطُ
مَارِدَتْ غَيْرَهُ وَلَا هُوَ رَادُ
نَظَرَاتِهِ كَيْفَنْ أَوْصَافَا
هَمْسَاتُو تَحْنَانَ الْقَمَارِي
وَبِسَمَاتِهِ لَوْ شَفَوْا الْبَرْوَقُ
وَتَضْوِي وَاللَّيْلُ يَنْهُ زَمْ
الْدُّنْيَا يَا نَاسَ
الْفَرَحَةُ تَمْلَاهَا وَتَزَغَّرُدُ

الْكَايـ سنُو رَاحـ
وَالـ بـ وَالـ سَمَاحـ
وَالـ لـ اـسـ تَرَاحـ
لَاهـم .. لـ جـ رَاحـ
قَمَرُو مَعَانـا لـي عَنـدـ الصَّبَاحـ
وَيَدْفَقـ شـعـاعـو عـلـيـنـا رَاحـ
وَاللهـ وَيَرـجـعـ مـنـهـ زـمـ
.. تـنـةـ سـمـ
فِيهَا وَالشُّوقُ يُرْتَسِم

يَوْمُ جَانـا شـايـلـ خـطـانـا
شـايـلـ الـأـمـلـ فـي عـيـونـو
أـرـتـحـنـا مـمـا شـفـاهـو
لـادـمـوـعـ تـانـي تـغـسـلـو
ضـحـكـتـ نـجـومـ وـغـنـا
يـكـسـيـنـا مـنـ ضـوـ اـبـهـاجـ
أـكـذـ يـيـ بـغـيـرـ
الـدـنـيـا يـاـ نـاسـ
الـفـرـحـةـ تـمـلـاهـا وـتـزـغـرـدـ

مضمون الأغنية هو نفس المضمون العادي الذي نظم حوله معظم شعراء الرومانسية في الأغنية السودانية من نوعية السرد والأحيلة التي أدخلوها في النص الشعري وكذلك المضمون. ولكن اللحن الذي ألفه الجابري وطريقة الأداء كانت شيئاً بديعاً وقمة في التطريب الذي أشتهر به أحمد الجابري. نلاحظ في الأغنية تنوعاً موسيقياً ظاهراً، ففي الانتقال من كوبليه إلى آخر يغير الفنان الجابري من أدائه وموسيقاه مما جعلها أغنية ليس بها أي رتابة موسيقية. وبهذه الأغنية وصل الجابري إلى مرحلة النضوج الفني وخاصةً من ناحية وضع الألحان بنفسه بمعنى إنه يكون لوناً خاصاً يمتاز به عن سائر أغانياته التي كانت من ملحنين آخرين فيها بصماتهم واضحة. فبعد الرحمن الريح تستطيع أن تحس بأغنته من طريقة أداء الجابري أو غيره من الفنانين الذين غروا بعد الرحمن الريح.

أغانيات متفردة

نلاحظ أن الفنان أحمد الجابري قد غنى أغانيات متفردة لبعض الشعراء ولم يكرر التجربة معهم ومن هذه الأغانيات سنتحدث عن أغنية كانت مهمة بالنسبة له في بداية حياته الفنية وهي أغنية "درب المحبة" من كلمات الشاعر محمد علي أبوقطاطي. هذه الأغنية كانت من أوائل الأغاني التي سمعناها للفنان أحمد الجابري وعلى ما اعتقاد إنها من أغانيات فترة الخمسينات. النص الشعري بسيط ولكن أحمد الجابري استطاع أن يخلق من هذه الكلمات عملاً متميزاً وإبداعاً مشهوداً غطى على كل البساطة في كلمات النص الشعري وأخرج منها أغنية مثل رصيفاتها من الأغاني الجيدة المشهورة في سجله الغنائي:

درب المحبة

إنت يا قلب المتيم كذت خالي
كذت نائم ما رأيت سهد الليالي
كنت قايل كل شيء في الدنيا حالي

جيـت لـقيـت بـابـ الـغـرامـ فـاتـحـ دـخـلتـ
وـمـنـ شـرابـ الـرـيـدةـ يـاـ مـسـكـينـ نـهـلتـ
وـابـتـدـيـتـ يـاـ قـلـبـيـ تـعـشـ وـانـشـفـتـ
كـذـتـ جـاهـلـ ...
الـعـشـقـ ظـنـيـةـ وـسـاهـلـ
إـلاـ يـارـيـتـكـ عـرـفـتـ وـماـ جـهـلتـ

الـمـحـاسـنـ أـغـرـتـكـ وـبـقـيـتـ عـشـوقـهـ
إـنـتـ قـاـيـلـ عـاصـفـاتـ الـحـبـ شـفـوقـهـ
بـالـمـحـبـةـ إـنـتـ سـاـيـرـ فـيـ طـرـيقـهـ
لـمـاـ باـكـرـ تـصـحـىـ تـلـاقـيـ الـحـقـيقـهـ
الـنـهـاـيـةـ تـكـونـ سـعـيـدـهـ ..

لما جاءت عكس ما إنك تريده فالمقادير حيث ما شاعت تسوقه

عرف الشاعر محمد علي أبوقطاطي كأحد شعراء وكتاب النص الشعري الغنائي في فترة الخمسينات والستينات والسبعينات فقد غنت له المطربة عائشة الفلاطية وفاطمة الحاج والرحمة مكي (رحمه الدوحة) وأخيراً الفنان الكبير محمد وردي.

الشاعر محمد علي أبوقطاطي من مواليد عام ١٩٣١ بقرية العجيبة شمال أم درمان وبالقرب من كرري، وهي مركز من مراكز قبيلة الجموعية. وقد عاش معظم حياته في منطقة أم درمان وبدأ كتابة الشعر بالدواوين ثم انتقل إلى الشعر القومي ومنها إلى كتابة النص الشعري الغنائي وكان ذلك عام ١٩٥٠.

وفي زيارة لي للشاعر محمد علي أبوقطاطي في داره بقرية العجيبة تحدث لي عن قصة هذه الأغنية "درب المحبة". فقد ذكر لي أنه كان وقتها يعيش في حي القماير بأم درمان وكان داره قبلة أهل الفن والغناء وكان عنده منضدة كبيرة يضع عليها النصوص الشعرية للأغاني. فقد صدف في يوم ما أن زاره الموسيقار أحمد زاهر ووجد نص أغنية "درب المحبة" على الترابizza فعجبه النص فنقله في ورقة ثم ذهب وبعد زمن قصير حضر لزيارتة الفنان خليل إسماعيل فوجد النص على الترابizza فأعجب به ونقله في ورقة وذهب. وبعد فترة جاء الفنان خليل إسماعيل ومعه أحمد زاهر مختصمين لديه لإصرار كل منهم على تسجيل النص في الإذاعة لأنهم قد لحنوا النص وهنا فاك الشاعر أبوقطاطي الاشتباك بأن منح الأغنية إلى أحمد زاهر الذي كان قد لحنها ولقنه للفنان أحمد الجابری ليغنيها وبدلاً عن ذلك تم تعويض الفنان خليل إسماعيل بأغنيته المشهورة "الأمناني العذبة" وهذا ما كان في أمر هذه الأغنية.

وبالعوده إلى نص الأغنية نجده كان من نفس المواضيع المطروقة لدى الشعراء في تلك الفترة من حيث الموضوع وطريقة النظم.

الأغنية الثانية التي غناها أحمد الجابری كأغنية مفردة هي أغنية من أغاني فترة ما يسمى بحقيقة الفن وهي كانت من درر الأغاني في فترة الثلاثينيات وهي أغنية "حليف الصون" كلمات الشاعر الفحل سيد عبد العزيز وكان قد غناها أصلاً

الفنان محمد أحمد سرور وسجلها في اسطوانة في عام ١٩٣٤م. تم تسجيلها في الإذاعة السودانية لاحقاً بأصوات ميرغني المأمون وأحمد حسن جمعة ثم غناها أخيراً الفنان أحمد الجابري مستخدماً الأوركسترا الموسيقية. كان أداء الجابري متميزاً كالعادة وأعاد الروح إلى هذه الأغنية بعد أن طواها الزمن.

حليف الصون

فات دم في علاك
ولا إن ت ملاك

يا حليف الصون
إنت زول مع صوم

الخ در ظلاك
تشتهي الأفلاك
يا الحراك جلاك
ومنظ ر الأفلاك

إنت بدرى وكيف
إنت كوكب نور
فيك كمم آيات
منظ ر الساحرات

مسنة من عيناك
طالعه من مغناك
بي معانى غنك
عن مدح أغنك

يا جميل الزور
بنظر الأنوار
والشباب يترنم
والجمال الفيڭ

طالعه من معناك
لوب سمت سناك
بانوا في وجناك
ريه فته هنراك

كل معانى اليوم
تبسم الأيام
الزهور والنور
والزي جمال الحرور

أشوفها حامله ا صفاك
إيه أقول في صفاك
لل صفا صفاك
زي ص فر صفاك

مهما أجيد أوصاف
يأنقني اللانون
الحرير ريخ شنى
والتب ريبة فى

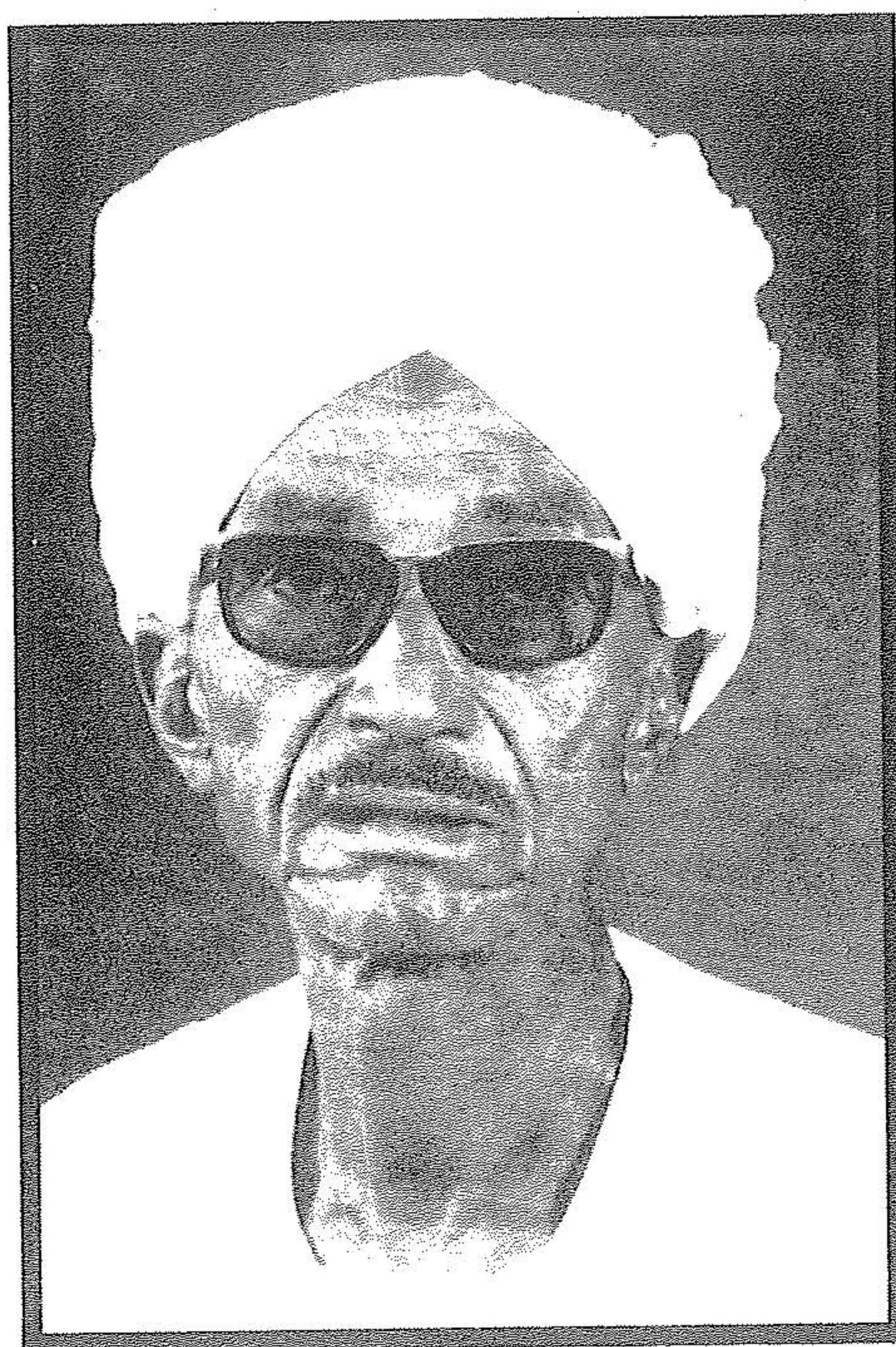
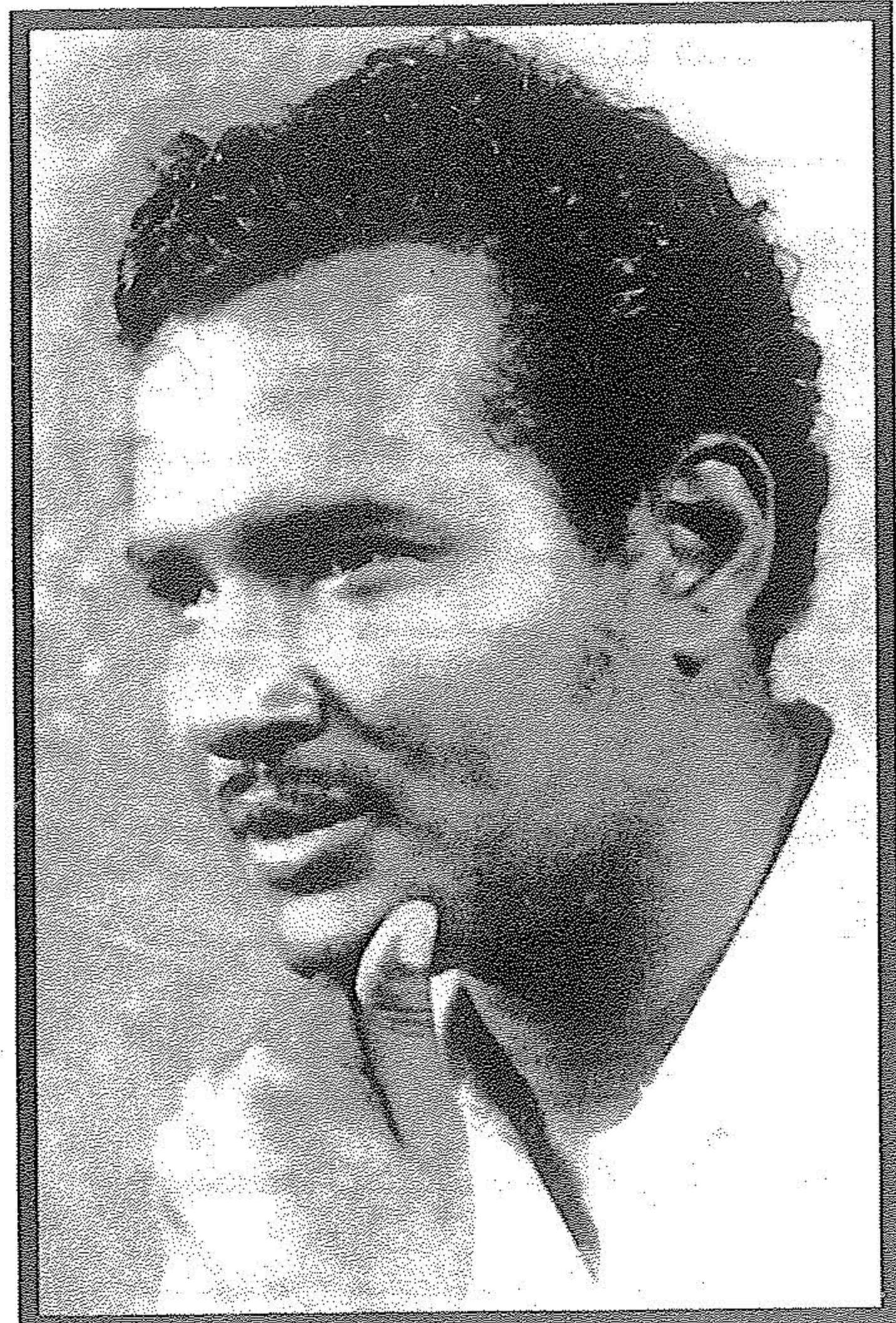
من شعاع محياك
يسرحن في ضياك
يا الهواك في حياك
حبيبي يوم روياك

تخ شع الأب صار
وعة كل الأفك صار
النفوس في هواك
أنا عندي يوم الفوز

بي حبيبه رعاك
كل شيء يرعاك
جب ووه معاك
أناكيف خلاصي معاك

الراك غير شاك
ليه لأنه يشوف
حتى نور الكون
بابه يطاعة

الشاعر اسحق الحلنقي



الشاعر سيد عبد العزيز

النص الشعري كما ذكرنا للشاعر الفحل سيد عبد العزيز وسيد عبد العزيز غني عن التعريف فهو من شعراً عهد الأغنية السودانية الأولى. بدأ كتابة الشعر الغنائي عام ١٩٢٧م. وهو من مواليد مدينة أم درمان في عام ١٩٠٤م. وكعادة الصبيان في الزمن القديم أكمل الخلوة ثم درس في مدرسة الموردة الأولية وبعدها انخرط في العمل الحر. كان سيد عبد العزيز مهتماً بالقراءة والثقافة عموماً مما جعله من عظماء الأدب في عصره. فقد نظم الشعر الغنائي وكذلك المديح النبوى وألف المسرحيات والأغانى الوطنية. نلاحظ في هذا النص مدى إعزاز الشاعر بالمرأة ووصفها برفعة الشرف والكرامة معزواً الصفات العليا فيها. ترك لنا الشاعر ثلاثة دواوين شعرية وهي:

- قائد الأسطول.
- آلة المجروح.
- الجمال والحب في بلادي.

كان منزله رحمة الله عليه منتدى لأهل الفن. توفي الشاعر سيد عبد العزيز في عام ١٩٧٦م بأم درمان.

الشاعر إسحاق الحلنقي كان صديقاً للفنان الجابری وكان في تلك الفترة قد حضر من كسلا للدراسة في مدارس التقدم بأم درمان وسكن في حي العرب بالقرب من المدرسة وبالقرب أيضاً من أهل الفن ولكن كان له صدقة مع الفنان الجابری وكان يزوره باستمرار إلى أن كتب له نص الأغنية الأولى وهي بداية التعاون بينهم "آخر الجزاء" التي أردها بأغنية كانت أكثر صيتاً من سابقاتها وهي أغنية "البلوم". وهي الأغنية التي كتب لها حظ أوفر ونجحت نجاحاً منقطع النظير. وإسحاق الحلنقي شاعر غنائي معروف لدى الجميع بعطائه الثر في ميدان الشعر الغنائي فقد غنى له كثير من المطربين والمطربات ولازال يكتب نصوصاً شعرية غنائية مواكباً الحقبة الحالية.

الشاعر صالح عبد السيد (أبو صلاح)



الفنان أحمد المصطفى
كان الفنان أحمد الجابري يحب أغانيه ويقلد لها

البلوم

أطران يا الحبان أهلا
ورشة الورد البراري
والقلوب دائرة المحن
يا الدروب لمتنين ثلاثة
حزن العاثر حرمي
حرمنا شهر الابتسامة
أشروا الحال لأهلا
و فوق روابيني الجمي
كلوها خلاص تطلق

البلوم في فرعه غنى
طرينا مشوار العصاري
البريد داير يلاقى
يالدموع لمتنين تفارقى
أبكي يادموع السواعى
الزمن غلبنا ياما
يا المسافرين بالسلامه
الغمامه حلة رحيلها
الطيور جات لمقاتها

من الأغاني الجميلة التي قدمها الفنان أحمد الجابری كانت رائعة الشاعر الكبير صالح عبد السيد (أبو صلاح)، شاعر الحقيقة المعروف وأنما اعتقاد أن الجابری قد وفق جداً في اختيار هذا النص لهذا الشاعر الفحل. الأغنية هي "يا رشا يا كحيل":

يا رشا يا كحيل غيشني

الهوى سبني
في خديك يلوح نور رباني
وسهام الحاظك ناشباني
مهضوم كشك وصدرك باني

يا رشا يا كحيل غيشني
يا المارضني وما طباني
نيران أشواقك لا هبالي
ومن ضمن الحال التاعباني

يتهدى يميل خصرك فريع باني

قلبي ترحل ووجدي أتاني
بسهامه الما بتختاني
وكتفك مال به فريع بستاني

من شفت الحسن الفتاني
ومال جيش حبك عتاني
ومال صدرك ليشك تاني

يتكل في دروعه ببوس تاني

ما بجيد وصفك غير لسانى

لو للشعا قصيد ومسانى

في فؤادي الحب مساندي
ما يصح من تنساني

غير شك أوصاف حسن مؤانسي

هبت لي روائح داهشاني
قول ليه غرامك أغشاني
الجمال شأنك والحب شاني
يا نسيم عقب وعود علشاني
وأدركتني الدمع الرشاني
يا نسيم روح بلغ وأغشاني

بي حق من أنشاك وأنشاني

ليه يا ملاك حسنو سباني
طرف المدحك هو الجاني
فيك خاطر بي ونجاني
ليك نور ولني نار سارجاني
في بحور أشواقك زجاني
أعلم أقبل سعدي وجاني

لو في الأحلام طيفك ناجاني

جمر الأسواق هب قلاني
في قلبىي الحب ولاي
فارقتك قرايبىي وخلاني
ما أنطفى بدمعي البلاني
أصبح بهـواك وخلاني
حسنك والاـك والـحب والـانـي

القصيدة كما قلنا جميلة وجيدة السبك وصالح عبد السيد كان شاعراً متمنكاً
له أغاني كثيرة تغنى بها المطربون في الزمن القديم.

صالح عبد السيد (أبو صلاح) ولد في حي الموردة بأم درمان في عام ١٨٩٠م. ترعرع وتربى في أم درمان ودرس في خلوة حسن حسين بالموردة. أخيراً انتقلت الأسرة إلى الخرطوم بحري حيث ذهب إلى المدرسة الأولية هناك بمدرسة الأمريكية وبعدها ترك الدراسة ليعمل كصبّي نجار في مصلحة الواجبات ومنها انتقل إلى الحملة الميكانيكية كنجار. في فترة ما ترك الوظيفة واشتغل بالأعمال الحرّة. كان الشاعر أبو صلاح من أشهر شعراء زمنه فقد غنى له كروان السودان عبد الكريم مختار (كرومة) مجموعة كبيرة من الأغانيات وكذلك المطربون عوض وإبراهيم شمبات والأمين برهان وعلي الشايقى. رحل عن هذه الدنيا في عام ١٩٦٣م.

كان السبب في أداء هاتين الأغنتين "حليف الصون" و"يا رشا يا كحيل" أنه كانت الإذاعة السودانية قد وضعت تقليداً يجب أن يتبعه كل الفنانين الجدد وهو أن يعني كل فنان أغنتين من أغاني زمن ما يسمى بحقيقة الفن وذلك من أجل حفظ التراث وأيضاً للتواصل بين الأجيال ولذلك نجد كل فناني تلك الحقبة كانوا قد تغنو بأغاني مختلفة من فترة حقيقة الفن مستخدمين الأوركسترا الحديثة وبطريقة الأداء الحديثة للأغنية. فقد غنى حسن عطيه "هل تدرى يا نعسان" و"حاول يخفي نفسه" وعثمان حسين غنى "ما رأيت في الكون" و"الزمان زمانك" وأحمد المصطفى غنى "أنا ما معيون" و"عيوني هم السبب في أذاي" وعبد العزيز محمد داود اشتهر بأنه قدم مجموعة كبيرة من أغاني ما يعرف بحقيقة الفن.

أغانياتأشيرة صباح الحبيب

عبد الرحمن الريح

اتهنى فؤادي وزادت أفراده
طلت في الأفق كالدراة فريده
صاحبته ووروده وشاهدت خدوه
قال لي إيه رأيك في الصبح الباسم
حفيظ الزهر ونسيمه الناعم
فوفقت أمامه من راحه
ضياء لسؤالنا إجابه
يا حبيب يا أمننا
في الروض صداحه

قابلت حبيبي أسعدني صباحه
قابلته وكانت الشمس ولديه
قابلته وكانت فرصة سعيده
وهناي بوجوده زادت أفراده
في الطقس الهادي والجو الحالى
أسرني كلامه وأدهشنى قوامه
الصبح مناظر ساحرة وخلابه
هل نحن وصلنا
باحدنا تغلى

هجران

عبد الرحمن الريح

إيه أماله

نافر ماله

الشاغلني ومرتاح باله

لكن صد وتأه في دلاته
يا ترى في الناس مين في باله
حبيبه وما قادر أغير
لفت الأنظار لاس تقبله
مسحور بنور يسببي الإحساس
كم شفنا بدور عاشقة لجماله

حاولت كتير ألقى وصاله
ما قادر كيف أعرف حاله
جميل ورشيق حسنه يحيى
خده الزهري وجهه النير
في جماله تتوه أفكار الناس
مظلوم لو كان بالبد يقاس

نعم الْحَبْ

عبد الرحمن الريح

جب اک ملائک قابی

ما سعدت في حبى

* * * *

بعـ دك مـ ألمـني وـ سـرـورـك فـي أخـبارـك

وأنت ظالمٌ

* * * *

فی حبی صامت لیے وک تکمن ارجوی

إِيَّاهُ يَمْنَعُ تَوْصِلَنِي وَأَنْتَ فِي قَرْبِي

* * * *

من يوم عرفت الحب
ملك الجمال روحي

لـولا الجـمال ما كـنت قـبلت بـجـروحـي

تراث الأرض واء فـي سـوحـي

لەم سا أراك يغىرىي الطير علسي روھى

علّاك تحف من ألمي يا روحى

* * * *

مَا أَسْعَدَ الْأَيَّامَ لِوَأَسْمَعْتَنِي كَلَامَ

الدُّنْيَا تَبْسُمُ لِسَانِي وَتَغْرِي بَرَادَ الْأَحَدِ لَام

فِي ثَغْرِكَ الْبَسَامِ تَعْزِفُ عَلَى أُوتَارِ

قلبک نغم حبی

* * * *

مشاعر فنان

عبد الرحمن الريح

أحاول فيها أشرح ليك
ولا تفكّر قليل فيها
مشاعر زول رقيق فنان
ترانيم عود أنيق رنان
عواطف توقف الوجدان
مشاعر يرسّلها الشاعر
يصور فيها ما يعجز أمامها الريشة والألوان
وتشرح ليك ميلول ولهان
ولا جرح شعور إنسان
وليک أهديتها ليك لو تقبل
ومشاعر سامية مستقبل
تحيد عن عهـدك الأول
زمن فرقـتنا مـا طـول

مشاعر نحوك أبـديـها
عواطف وإنـت تنـفيـها
مشاعر فياضـة حـب وحنـان
مشاعر يعزـفـها العـازـفـ
مشاعر لـحـنـها المـطـربـ
وتـفـجرـ فيـوضـ أحـانـ
درـرـ لـجـمـالـكـ الفـتـانـ
وـتـمـثـلـ ليـكـ نـزـاهـةـ حـبـ
نبـيلـ فيـ قـصـدـهـ يـوـمـ مـاـخـانـ
مشاعـرـ كـتـبـهـ بـخـطـيـ
مشاعـرـ سـامـيـةـ فـيـ الـماـضـيـ
حرـامـ لـوـضـالـوكـ النـاسـ
ونـحـنـ عـلـىـ أـمـلـ الـآنـ

ليه كده

محمد محمود العجاني

الظـاءـ دـهـ دـهـ

ليـهـ دـهـ دـهـ

وـعـلـيـيـ أـنـاـ
هـجـرـ وـضـنـيـ

مـكـةـ وـبـ عـلـيـيـ
مـنـ حـبـيـ لـيـكـ

في الـهـجـرـ دـهـ

ط	ول الـ دهر	عا	يش وحـي د
ع	دم الـ سهر	واعـ	ب عـي وـني
لـي	كم شـهر	مـد	روم لـقـاك

فأقد رضاك آه

وـقـ	ـصـدـكـ فـرـاقـ	جـاـفـيـ وـنـفـورـ
ـوـيـزـيـ	ـدـبـعـادـ	ـكـلـ بـيـزـيـ
ـيـهـ	ـوـمـ المـعـادـ	ـلـيـهـ إـنـسـاتـ نـاسـيـ

ويوم اللقاء آه

كيف أنساك

سيف الدسوقي

ـنـطـ	ـرـاـكـ	ـسـوـنـاـ	ـتـنـ
ـنـهـ	ـوـاـكـ		ـتـجـفـوـنـ
ـبـرـضـ	ـاـكـمـ	ـقـلـوبـنـ	ـبـيـانـاـ

ـوـافـ	ـرـاـحـمـ	ـفـيـ الـمـاضـيـ أـفـراـخـاـ
ـهـمـ	ـاـكـمـ	ـوـالـهـ مـأـسـ هـرـنـاـ
ـأـبـمـ		ـكـيـفـ تـنـسـواـ فـيـ الـدـنـيـاـ

ـنـجـ	ـوـاـكـمـ	ـأـوـ أـنـسـىـ مـاـ بـنـسـىـ
ـوـهـ	ـوـاـكـمـ	ـوـهـوـانـاـ العـذـريـ
ـبـطـ	ـرـاـكـمـ	ـكـيـفـ أـنـسـىـ وـقـصـيـدـيـ
ـلـحـ	ـاـنـكـمـ	ـوـحـنـ اـنـيـ بـتـ ذـكـرـ

راكم	ذكر	يا روحى فى روحى
اكم	ترع	ودمائى فى قلبى
اكم	معن	ومعاني إله امامى

لـه بـا اللـه هـجرتـونـا

عبد الرحمن الريح

يـانـاس يـوم زـورـونـا
شـاهـدـتوـا هـوـانـا وـعـرـفـتوـنا
طـبعـاً أـخـوانـا سـأـلـتوـنا

لـه بـالـله كـدـه هـجـرـتـونـا
يـانـاس فـي بـعـادـكـم أـفـتـونـا
إـلـهـ المـانـع لـو زـرـتـونـا

أـظـهـرـتوـا صـدـودـ الـمـتـونـا
لـكـنـ يـا سـادـةـ ظـلـمـتـونـا

يـا لـلـإـلـاـصـ عـلـمـتـونـا
فـاكـرـينـ يـا أـحـبـابـ أـنـصـفـتـونـا

يـومـ بـيـنـ الـزـهـرـ نـظـرـتـونـا
بـدـلـالـ الصـباـ حـيرـتـونـا

نـظـرـاتـكـمـ سـاحـرـةـ أـسـرـتـونـا
أـدـهـشـتـواـ عـقـولـنـاـ سـحـرـتـونـا

بنات الجابري

في منتصف سبعينيات القرن الماضي إستضافي المذيع المبدع علم الدين حامد وقدم لي بعض الأسئلة مثل:
أكثر الشعراء تأثيراً؟ أجبت: أبوصلاح.

الأغنية الأثيرة لديك؟ أجبت: هيجتي الذكرى (شعاً وتلحيناً عبدالرحمن الريح أداء إبراهيم عوض).

الفنان الذي يجذبك بثقافته وفنه؟ أجبت: عبدالكريم الكابلي.
أعمق الأصوات؟ أجبت: عبدالعزيز محمد داؤود.
أعزب الأصوات: أجبت؟ احمد الجابري.
وهكذا استمرت الأسئلة والأجوبة.

في اليوم التالي للمقابلة الإذاعية، وكأنما الصدف تصنع نفسها بطريقة نحن لا نعرفها.. أول من قابلت وأنا أهم بدخول مبنى الإذاعة كان الفنان احمد الجابري.

إحتضنني الفنان الجابري وهو يبكي ويقول:

غيركم إنتم منو البذرنا، وغيركم إنتم منو البجيب خبرنا؟

وهدأت من إنفعاله وأنا أقول له: أنت أيها الفنان العظيم تستحق كل الثناء بما وهبته لنا من إحساس وفن رفيع. أنت وزملاؤك من جعلتم قسوة الحياة أمراً مقبولاً بما تزرعونه من آمال وتهبونه لنا من عواطف سامية.

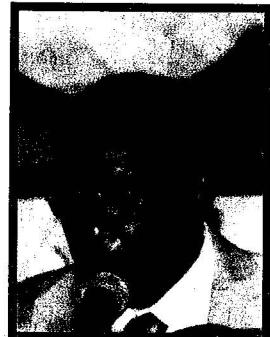
في تلك الأيام ، لم يكن الفنان احمد الجابري يلقى إهتماماً من أجهزة الإعلام أو المشغليين بأمر الفن.. وفنان كالجابري يتمتع بحساسية مفرطة كان ذلك من أشقر الأمور عليه.. وكان من الممكن أن يؤدي بالفنان إلى تدمير ذاتي أو الإنتحار البطئ، ولكن الفنان الجابري لم يستسلم لللأس والقنوط بل حول كل تلك المشاعر السالبة والتجاهل إلى أعمال جيدة الصناعة، رقيقة المستوى، باللغة التأثير. أعمال مثل (الزهور بسمت علينا) توأم (هيجتي الذكرى) والأغانيتان للشاعر عبدالرحمن الريح ومن تلحينه وكل الأغنيتين تقفان في ميزان الإبداع كأروع وأعمق إنتاج وجداً يمثل رومانسية جيل عاش زمان (القبلة السكري) و(الكروان) و(الطاؤوس)

أو ملك الطيور) و(الوكر المهجور) و(فينوس) وغيرها من الروائع عندما كان الشاعر والملحن والفنان والجمهور المنتشي طرباً يلتقطون ويجلسون على (نجيلة الفن حيث يطيب المجلس) أو (ضفاف النيل ينشدون الفسحة) أو يسافرون بالفيات (بالدرب التحت) أو يتذدون (القطار المر) سبباً لبث لوعتهم وصباباتهم. والجابري من تلك الكوكبة النيرة الخيرة فناً وإبداعاً.

الفنان احمد الجابري - تغشاه رحمة ربه - لم يتزوج وبالتالي لم يترك خلفه أولاً أو بذاتاً بل خلف أغنيات خالدات هن بناته ينشرن الدفء والجمال أثني حلن. تغنى للشاعر المرهف الصادق الياس (من طرف الحبيب جات أغرب رسائل) وتغنى للشاعر الكبير سيف الدسوقي (ما في حتى رسالة واحدة).. وغيرها مما سيعرضه الأستاذ المحقق المدقق المؤوث نادر احمد الشريف الحبيب في كتابه القيم هذا. ويحمد للأخ الأستاذ نادر إنه لم يحبس إعجابه بالفنانين أمثال الفنان الراحل عثمان الشفيع وعثمان حسين في تعبير عابر في جلسة عابرة ولكنه يوثق بذلك في كتب ستكون مراجعاً ثرياً مكتبة الفن السوداني وتعبر بلسان جيل كامل عن إحساس نبيلة عاشها لحظة بلحظة عن فن رائع يولد في لحظات دفق فني وشعوري عاشها الجميع. ولا أقول لك عزيزي القارئ تمنع بهذا الكتاب بهذا مفروغ منه وتحصيل حاصل ولكنني أقول للأخ الصديق العزيز المرهف الأستاذ نادر احمد الشريف الحبيب (ختّر) الله قلمك ووقفك لتحتفنا من وقت آخر بمنعة مستدامة وأنت تغوص بنا في جماليات الفن الغنائي السوداني ورموزه.

أ.د. محمد عبدالله الريح

فنان الزمن الأخضر



أحمد الجابري عايشته استماعاً واستمتعاء.. صداقة
.. والتصاقاً حمياً امتد لسنوات طويلة خضراء.
الملمح الأول .. أحمد الجابري يمتلك صوتاً نقياً
عذباً .. صافياً خالياً من العيوب .. والشوائب.

وهذا الصوت رعاه الجابري .. ورباه وصقله حتى عرف جميع أسراره ..
ووصل إلى مناطق ربيعية فيه .. وهناك وجد ينابيع العذوبة تتدفق .. وتشكل
تطريباً .. وأداءً أخذاداً ..

وعندما استيقظ في داخله الفنان التشكيلي حمل الجابري فرشاته .. وألوانه
وأخذ يرسم لوحاته الغنائية ويلونها ب تلك الألوان الزاهية .. ويوضع .. لها الظلل
.. والأبعاد .. والعمق .. ويأتي المتنقى ويتأمل تلك اللوحات بأذنه .. ويستمع
إليها بفيض إحساسه ويتشكل في أعماقه كون من فرح .. وسعادة وانبهار ..
ودهشة .. وعذابات لذيدة فينتشي كنشوة الطفل إذا خاف من القمر كما قال
الشاعر بدر شاكر السياب.

والملمح الثاني هو عندما يختار أحمد الجابري النص الشعري فإنه يوزنه
بميزان الذهب. وب تلك النظرة البراقة يتأمل الكلمات فينقى الخضراء المونقة ..
ويدفع بها إلى ملحن. والملحن عند أحمد الجابري هو التوأم الذي يتوافق معه في
الملامح .. والشبه .. والصفات الجينية. ويجلس أحمد الجابري إلى هيكل اللحن
الذي وصفه له الملحن وهنا يبدأ مشوار المعايشة .. ويببدأ إحساسه الملهem يملأ
الهيكل للحن .. ويوضع بلسان الفنان الزخارف .. والحلبات .. والجمل الموسيقية
التي تتمي ذلك اللحن وتتطور فإذا الأغنية منظومة متاغمة تتمواق فيها الكلمات
والحن .. والأداء فتسجم وتتداعى راحة .. ومتعةً وسكونية روحية .. تتسكب
رذاذاً .. عطراً على النفوس العطشى .. والولهى .. الظائمة إلى تلك الزخات من
مطر الإلهام .. المضخمة بالطيب والعتبر .. فتقرح الكلمة .. وتخضر .. وتنبض
بالحياة ..

ولمتح ثالث هو عندما يلحن الجابری لنفسه فإنه يتأنى .. ويختص رحیق الكلمات .. ويرتشف الطل في تؤدة كما النحلة تفعل مع حقل الزهور .. و قطرات الندى فتخرج الأغنية طاعمة .. مسکرة .. معسلة .. لها فوح وعبير .. وشذا .. وندى .. وطلاوة .. وحلوة ..

ولمتح رابع هو أن أحمد الجابری لم ينافس أي فنان ولم يقارن بأي فنان .. بل كان دائمًا ينافس نفسه بنفسه .. عندما يغني أحدي الأغانيات كان يلجاً إلى الرسم البياني وفي الأغنية الجديدة لابد أن يسجل الرسم البياني ارتفاعاً ملحوظاً .. وتقدماً واضحاً لذلك يجب عند المقارنة أن نقارن أحمد الجابری بأحمد الجابری .. متبعين الرسم البيان والذي حتماً سيقودنا إلى القمة التي تربع عليها أحمد الجابری حياً .. وميتاً ..

ولمتح خامس هو عندما يغني الجابری نشم ریحة الغناء .. ونحس ذلك النفس الشرقي في غناه .. لماذا .. ؟

لأن أحمد الجابری أحب الموسيقى وعشق التخت الشرقي والمواں .. والمقامات العربية .. الموشحات ..

والموسيقى الشرقية غنية تتمتع بثراء فني عريض فيها الألحان الشجية .. وفيها الإيقاعات الملونة الدافئة .. وفيها الدفوف .. وفيها الآلات ذات الإمكانيات الكبيرة أحبها أحمد الجابری وظهر ذلك النفس الشرقي في أدائه وموسيقاه .. ولعل عشقه وتغنيه بأغنية "عطشان يا صبياً دلوني ع السبيل" هو الدليل على ذلك العشق الذي ملأ عليه وجده وتملك أحاسيسه ..

لقد كان أحمد الجابری فناناً مطرباً .. فناناً أسعد الأجيال بشدوه العذب وأرهف عواطف هذه الأجيال .. وملأ القلوب بالسعادة الحقيقة فعشنا ذلك الزمن الأخضر .. وتلك الأيام الزاهية والأمسى الحالمة .. والليالي المتألقة بأنوار المحبة .. وضياء الأمل وبريق السعادة ..

"ذو النون بشرى"

رسالة شوق

"ذو النون بشرى"

قدر إيه عينيك بريده
كلمه كلمه برأي بعيده
مشتاقه حاضنه الليل وحيده
اللحظة تظهر لى بعيده

لو بتعرف يا حبيبى
 وكلمات حنانك يا حناني
وعيوني في حبك مساهره
ولو تغيب عن عيني لحظه

في القلوب مشتوله دابه
حضره فرحانه بي شبابه
يا فرحتنا ويا حبابا
وتفر جناح الشوق سحابه

المحبه البيـنـاـنـحـنـ
فـرـهـدـتـ بـالـرـيـدـ وزـادـتـ
والـلـيـالـيـ الـحـلـوـهـ جـايـهـ
تبـقـىـ فـيـ دـنـيـانـاـ بـهـجـهـ

وأشيل حنان الريد وأجيوك
وفرحة الشوق في عينيك
ومن عواطفني بخاف عليك
وعز هنانا كله بيتك

لما أحـكـيـ مشـاعـرـيـ ليـكـ
بلـقـىـ رـيـدـتـ دـاـيمـهـ باـيـنـهـ
قلـبـيـ يـتـفـجـرـ حـنـنـيـنـ
ما فـرـحـنـاـ إـنـتـ وـرـيـدـتـنـاـ إـنـتـ

أو بسمة في ثغر القمر
راحلين مع الغيم والمطر
أو نغمه في قلب الوتر
ياريت له لو يكفي العمر

ياريتـاـلوـ نـجـمـيـنـ بـعـادـ
أـوـ كـنـازـيـ نـسـمـةـ دـعـاشـ
أـوـ كـنـازـيـ زـهـرـ الرـبـيعـ
كـنـتـ العـمـرـ أـهـدـيـتـهـ ليـكـ

هذه آخر قصيدة لحنها الجابري وغنها ولكن لم تسجل في الإذاعة أو التلفزيون

الفنان والمطرب أحمد الجابري



في اعتقادي إن الأخ العزيز نادر أحمد الشريف قد وفق في اختيار فنان متفرد ليوثق لسيرته ومسيرته الحافة بالروائع. فالجابري يمتاز بصوت شجي وأداء رفيع وصوت أخاذ يجبرك على الاستماع له وهو بجانب موهبه وأصالته فنه يختار دوماً القصائد الرائعة والموسيقى الراقية مما جعله أحد المطربين القلائل الذين عطروا سماء الفن والغناء بكل رائع وجميل فقد بذل رحمة الله جهداً مقدراً في أدائه المتميز لكل أغانيه تقريباً واكتسب بذلك قطاعاً كبيراً من المعجبين الذين جذبهم ذلك الفن الراقي والجميل وحفظوا أغانيه ورددوها واستظل خالدة على مر سنوات السنوات الطوال رغم رحيله المبكر. وهذا حال كبار المبدعين يرحلون ويتركون ثروة غالبة من الفن البديع والجابري أحد هؤلاء العمالقة الأفذاذ ستظل سيرته العطرة في وجданنا دوماً.

عميد/ عبد الرحمن حسن عبد الحفيظ

أمين خزينة الاتحاد العام

للأدباء والكتاب السودانيين

الفاتمة

عزيزي القارئ إليك الآن سيرة فنان سوداني أشجى الأسماء بأجمل الألحان وخلد اسمه في سفر الغنائي السوداني بكل إبداع. فنان صاغ نفسه بنفسه وكون مسيرته بحسب ما تشهي نفسه واحتفل لنفسه طريقاً أصبح هو طريقه ولونه وأصبح اسمه يعني فنه وفنه هو شخصه.

كان إنساناً طيباً مثل أي إنسان سوداني بسيط عاش الحياة بأبسط السبيل والطيبة التي عُرف بها الإنسان السوداني البسيط. كان كل طموحه أن يصبح مطرباً لي Finch عن موهبه للناس وليطرب نفسه أو لاً والمستمعين من بعد.

كانت الحياة بالنسبة له سهلة لبساطتها في ذلك الزمن والحب عنده هو حبه لأمه التي عاش معها جل حياته حتى مماتها وهو لم يتزوج أبداً. منحته أمه العطف وهو صغير والرفق في الحياة وهو كبير. كانت خلفيته الصوفية مصدرأً من مصادر الرقة في صوته وتأثره بالشعر عموماً. وهو بدأ حياته مادحأً في الجوامع والخلاوي وكانت نهايته أيضاً في جامع الحي الذي كان يصلى فيه كل الأوقات منجباً إلى الحياة الصوفية راجعاً إلى أساسه وطبيعته التي أتى منها وقد قامت الصلاة على رفاته في نفس الجامع الذي كان يصلى فيه أوقاته الخمس. وكان قبل وفاته قد تصدق بمعظم مقتنياته إلى الأصدقاء ولم يترك خلفه شيئاً يذكر غير المنزل الذي كان قد شيده في مدينة المهدية بأم درمان وسكن فيه آخر أيامه وهذا المنزل آل إلى ورثته أخوانه من ناحية أبيه والذين يعيشون في مدينة القضارف وكان قد تم بيعه لينتهي أي أثر لأحمد الجابري.

كان قد استمعت إلى أشخاص عدة لهم صلة بالفنان الجابري حتى استطيع أن أكتب هذه السيرة البسيطة عنه. ولكن لم أجد الكثير الذي يمكن أن يدون غير الذي سطرته في هذا الكتاب والذي يعكس قدرأً من حياته وأعماله الفنية. وختاماً يجب أن يعذرني القارئ إن وجد بعض الأخطاء والتي يمكن تصحيحها مستقبلاً عند تتفيق الكتاب.

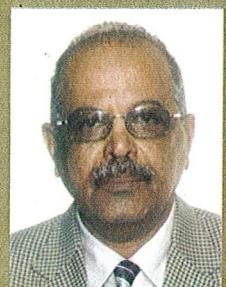
وليس لي شيء غير أن أشكر جميع الذين ساهموا وأدلوا بمعلومات ساعدت في إخراج هذا الكتاب الذي انتظره عدد كبير من معجبي الجابرية الذين كانوا قد اتصلوا بي سابقاً يسألون لماذا تأخر إصداره ولكن مرت ظروف قاسية على ولذا كان هذا التأخير. وأخيراً وليس آخرأ أرجو أن أكون عند حسن ظن القارئ الكريم وعند المقصود السليم.

أغانيِّي أَحْمَدُ الجَابِرِي

الشاعر	الأغنية	الرقم
عزمي عبد القادر	في شاطئ الغرام	(١)
عبد الرحمن الريح	صباح الحبيب	(٢)
عبد الرحمن الريح	أين وعدك	(٣)
عبد الرحمن الريح	هجران	(٤)
عبد الرحمن الريح	الزهور الباسمة	(٥)
عبد الرحمن الريح	أول نظرة	(٦)
عبد الرحمن الريح	حكمة	(٧)
عبد الرحمن الريح	قلبي والحب	(٨)
عبد الرحمن الريح	نعميم الحب	(٩)
عبد الرحمن الريح	الطاووس	(١٠)
عبد الرحمن الريح	مشاعر فنان	(١١)
عبد الرحمن الريح	ليه بالله	(١٢)
عوض جبريل	أنا بريده	(١٣)
عوض جبريل	انشغال	(١٤)
عوض جبريل	بسلطتها	(١٥)
عوض جبريل	أسمر	(١٦)
الصادق إلياس	رسائل	(١٧)
الصادق إلياس	هاتوا الياسمين هاتوا	(١٨)
الصادق إلياس	شقاؤة زول	(١٩)
الصادق إلياس	حكالية ملام	(٢٠)
الصادق إلياس	الجريف واللوبيا	(٢١)
محجوب سراج	قلبي معاك	(٢٢)
سيف الدسوقي	بدون رسائل	(٢٣)
سيف الدسوقي	كيف أنساك	(٢٤)
مصطفى عبد الرحيم	هوج الرياح	(٢٥)

أبو آمنة حامد	-	ما نسيناك	(٢٦)
كامل عبد الماجد	-	سيد الاسم	(٢٧)
محمد علي أبو قطاطي	-	درب المحبة	(٢٨)
إسحاق الحلنقي	-	آخر الجزاء	(٢٩)
إسحاق الحلنقي	-	البلوم	(٣٠)
سيد عبد العزيز	-	حليف الصون	(٣١)
مبارك المغربي	-	بعد عام	(٣٢)
جمال حسن سعيد	-	حواء وآدم	(٣٣)
الزين عباس عمارة	-	سامحني	(٣٤)
محمد محمود العجاني	-	ليه كده	(٣٥)
محمد عباس أبو مرين	-	تحية قلبية	(٣٦)
حسين حسن أدروب	-	عصافير المحنـة	(٣٧)
حسين حسن أدروب	-	القمر	(٣٨)
صالح عبد السيد (أبوصلاح)	-	يا رشا يا كحيل	(٣٩)
محمد علي الأمي	-	سألته عن فؤادي	(٤٠)
حسن محمد الأمين	-	كوسـتي	(٤١)
عبد الله شرفي	-	شوفـته علينا إيه	(٤٢)
السر أحمد قدور	-	إـنت وأـنا	(٤٣)
محمد علي أبو قطاطي	-	ضروري أغـني	(٤٤)
ذو النون بشـرى	-	رسـالة شـوق	(٤٥)
زين العابدين أحمد محمد	-	يا دـنـيا وـحـانـك	(٤٦)
عوض جـبرـيل	-	حـبـيـتـي تـغـنـوا لـو شـفـتوـها	(٤٧)
عبد الرحمن الـريح	-	غـاـيـبـ عنـي	(٤٨)
وديع الصـافـي	-	عطـشـانـ يا صـبـايا	(٤٩)
محمد علي أبو قـطـاطـي	-	الـزـيـارـة	(٥٠)
زين العابدين أحمد محمد	-	يا دـنـيا وـحـانـك	(٥١)
عبد الرحمن الـريح	-	غـاـيـبـ عنـي	(٥٢)

ناس والحب	-	عوض جبريل	(٥٣)
كيف تخلي الريدة	-	عوض جبريل	(٥٤)
اغتراب	-	حسن محمد الأمين	(٥٥)
أيام العيد	-	عبد الرحمن الريح	(٥٦)
يا وطن يا نبع الأصالة	-	ذو النون بشري	(٥٧)
بلاد الطيبة	-	نعمان على الله	(٥٨)
أقف يا عمري	-	الصادق إلياس	(٥٩)
فرقة/ غناء درية مدنى ألحان -	-	إبراهيم الرشيد	(٦٠)
الجابري			



نادر أحمد الشريفي الحبيب

نبذة عن المؤلف:

ولد بمدينة أم درمان عام ١٩٤٧ م
تلقى تعليمه بمدارس الأحفاد بأم درمان ووادمني
تخرج في كلية الآداب في جامعة الخرطوم عام ١٩٧١ م
حاصل على دبلوم في التخطيط من جامعة أوسلو - النرويج
في عام ١٩٧٢ م
حاصل على بكالريوس علوم طبيعية واقتصاد من جامعة
هالسنكي فنلندا في عام ١٩٧٨
حاصل على ماجستير في الاقتصاد النقطي من جامعة هالسنكي
فنلندا في عام ١٩٨٠ م
له منشورات علمية ومقالات في الصحف
عمل في القطاع المصرفي وشركات القطاع الخاص